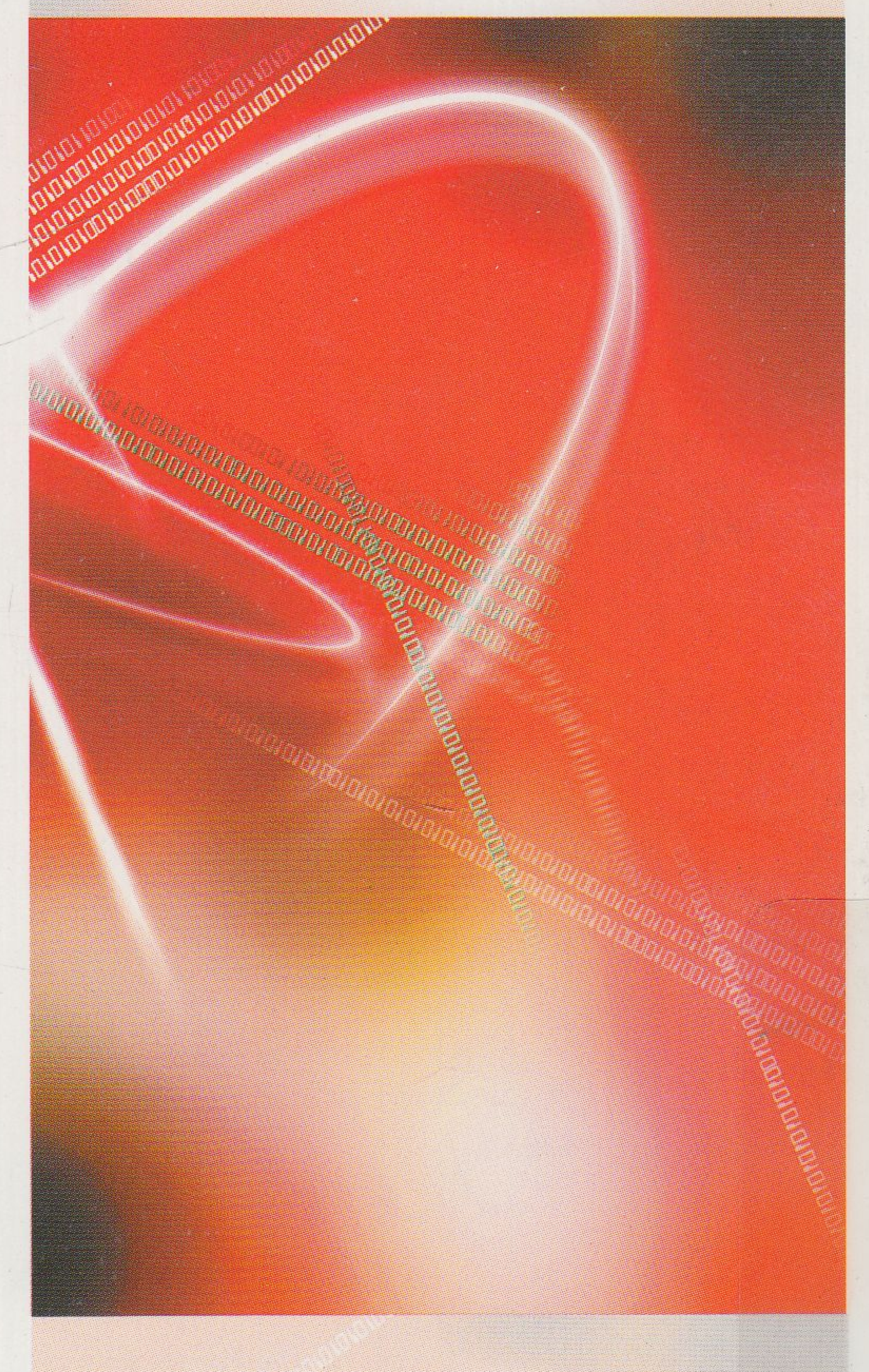


مفاهيم

الأسس العلمية للمعرفة



سيكولوجية الولاء والانتماء

إعداد
محمد أنور حجاب

www.icfsthinktank.org



مفاهيم

الأسس العلمية للمعرفة

سلسلة شهرية تركز على التحليل العلمى الموضوعى لمضمون وأبعاد أهم المصطلحات الشائعة ذات العلاقة بالقضايا المرتبطة بالتطورات الدولية أو الإقليمية المؤثرة على مصر أو القضايا الداخلية محل الجدل العام والتى يشوب مفاهيمها الكثير من الالتباس وذلك على قاعدة الأسس العلمية للمعرفة والتى تسهم فى التقييم الرشيد للمواقف.

المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية مؤسسة بحثية مستقلة غير هادفة للربح ـ (مركز تفكير) ـ تأسس عام ٢٠٠٤ للدراسة القضايا ذات الطابع الاستراتيجي والتى تتصل بالمتغيرات العالمية وإنعكاساتها المحلية والإقليمية .

سيكولوجية الولاء والانتماء

إعداد
محمد أنور حجاب

التعريف بالكاتب

د. محمد أنور حجاب

- رئيس وحدة الثقافة المجتمعية بالمركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية.

تقديم

يعتبر مفهوم الولاء من أكثر المفاهيم تدوالاً في العديد من مجالات العلوم الإنسانية، فتارة تتناوله الفلسفة من منظورها الخاص، وتارة أخرى نراه في مجال العلوم السياسية، أو أخرى في العلوم الإجتماعية وأخيراً في علم النفس حتى أنه كثيراً من رواد الفكر الأدبى قد تناولوه في بعض قصصهم وروياتهم بدءاً من الولاء للأسرة حتى الولاء للوطن.

وقد حدث كثير من الإلتباس بين مفهوم الولاء وبين مفهوم اخر يعد أكثر شيوعاً من مفهوم الولاء وهو لإنتماء وسوف تعرض الدراسة الفرق بين المفهومين حتى يتضح للقارئ معنى كل مفهوم على حده.

كما أن هذه الدراسة سوف تتناول مفهوم الولاء من منظور علم النفس السياسى الذى يعد الولاء أحد موضوعاته الهامة أن لم يكن أهمها جميعاً.

وقد حاولنا أن نبسط المفاهيم النفسية في هذه الدراسة بأسلوب مبسط وأمثلة توضيحية إيمانا منا بصعوبة بعض المصطلحات النفسية العلمية في هذا المجال.

أسرة التحرير

فبراير ٢٠١٣

أولاً: الولاء والإنتماء

كثيراً ما يحدث – مع الأسف- خلط لدي الكثيرين من الكتاب والسياسيين والباحثين بين مفهومي الولاء والإنتماء بينما أن لكل منهما مفهوماً ومعنى خاص به، فيتحدث هؤلاء النخبة عن الإنتماء باعتباره الولاء ودون أن يقصدوا معنى الإنتماء، فكأنهم حين يتحدثون عن الإنتماء فهم يقصدون الولاء بينما كما ذكرنا أن لكلا المفهومين معنى مختلف عن الآخر.

فالإنتماء يعني الانتساب، فحينما نقول أن الولد ينتمي لأبيه فهو ينتسب إليه بحكم صلة الدم، لكن هل يحب الولد أبيه؟! هذا هو الولاء، وقد نبهنا الله العظيم إلى هذه الحقيقة وهى الولاء في قرآنه العظيم وهذه الآية الكريمة توضح بجلاء الفرق بين الولاء والانتماء إذ تقول: "إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ" التغابن الآية ١٤، في دلالة على أن الأزواج والأبناء ليس شرطاً أن يحبوا الأب بالرغم من أنهم ينتمون إليه.

أما الولاء فيشترط أن تكون هناك عاطفة حب لشيء ما سواء أكان وطناً أو شخصاً أو فكرة حتى نقول أن هناك ولاءاً.

فالولاء للوطن "هو حب الفرد لوطنه الذي ينتمي إليه وتوحده معه ـــ والعمل من أجله والانتصار له".

ثانياً: الولاء كظاهرة نفسية اجتماعية

الولاء معنى عام مركب، يشتمل على عناصر متعددة. هذه العناصر وإن كنا نستطيع أن نتعرف على معظمها إلا أننا – في نفس الوقت – لا نستطيع أن نحددها تحديداً جامعاً مانعاً. كما أنها في النهاية تتفاعل مع بعضها البعض لتكون (كل) واحد. هذا "الكل" الواحد وهو ما يعرف بلغة مدرسة علم النفس الألمانية بمصطلح "الجشطلت" والتي تعني أن أى شىء يتكون من أجزاء صغيرة تتفاعل فيما بينها

فتخرج لنا "كل" واحد يختلف في معناه عن كل جزء منفصل في داخل هذا "الكل" الذي يكون مجموع هذه الأجزاء الصغيرة لذلك سوف نستخدم كلمة جشطلت كما وردت بهذا المعنى في سياقها وهذا ما ينطبق على مفهوم الولاء وهو ما نستشعره جميعاً في قلوبنا، وربما لا تختلف المشاعر إزاءه بين كل من المصري أو الفرنسي أو الألماني، أو بين الرجل والمرأة أو بين الشاب والفتاة على سبيل المثال.

لعلنا هنا نستطيع تطبيق بعض مبادئ علم نفس الجشطلت على القضية المطروحة "الولاء"، حتى نتبين بعض عناصرها ودينامياتها. إن نظرية الجشطلت هى نظرية هامة، صارت تتجمع وتبعث من جديد في الآونة الأخيرة، وكانت قد تبعثرت أجزاؤها ضمن نظريات أخرى، مثلها مثل الكنز الذي غاب عنه صاحبه' فإذا بكل عابر سبيل يأخذ منه ما يحلوله ويتفق وميوله العلمية.

ظهرت نظرية الجشطلت في ألمانيا عام ١٩١٢ على يد كل من "فرتهيمر" و"كوهلر" و"كوفكا" و"ليفين" ولو أن كيرت ليفين قد إنفصل عن زملائه منشئاً نفسه نظرية خاصة تعرف بنظرية المجال life space رغم أنها لا تبتعد كثيراً عن مفاهيم الجشطلت. ونظرية الجشطلت وإن كانت تعبر عن تيار متميز في علم النفس إلا أنها أيضاً تعبر –في نفس الوقت – عن فلسفة خاصة بها. وكلمة "الجشطلت" Gestalt هى كلمة ألمانية لم تستطع اللغات المختلفة كالإ"نجليزية أو الفرنسية أو العربية أن تجد في قواميسها ما يرادفها تماماً، إلا أن أقرب المعاني لها نجدها في كلمات: الصيغة أو الكل أو البنية أو الإنتظام.

ونظرية الجشطلت هذه – ذات النظرة الكلية الشاملة – تقوم على مبادئ معينة ليس هذا المجال سردها، إلا أننا سوف نتناول مبدءاً "العضوية" Membership لنرى كيف يكون الولاء جشطلتا أو مفهوماً كلياً.

على سبيل المثال حين تتعرف على شخص ما، فإنك تتعرف عليه ككل قبل أن تتعرف على أعضائه أو أجزاء وجهه، فعينيه وأنفه وفمه وشعره هى جميعاً أجزاء يقوم كل منها بدور معين يتفاعل ويتكامل مع أدوار الأجزاء الأخرى لينبثق في النهاية "الكل" المحدد أو الصيغة المعنية لهذا الوجه، أى أن إدراك الوجه سابق

على إدراك أجزائه. ومن هنا نرى أن أى كل أو جشطلت وإن كان يتكون من مجموعة من الأجزاء أو الأعضاء تختلف في ترتيبها أو في أهميتها – كما أنها تتوقف على بعضها البعض – إلا أم هذا الكل يسيطر ويهيمن عليها ويجمعها ويجانس فيما بينها. وبفضل هذا التجانس يكون وجود "الكل" سابق على وجود أجزائه. كما أن الجزء في الكل هو شيء مختلف إذا وضع ضمن أجزاء أخرى في "كل" أخر. فالصفر تتغير أهميته تبعاً لمكانه في كل من الأكلال (الأكلال جمع كل)، فهو منفرداً قد يعني مجرد نقطة، كما أنه حين يكون وسط دائرة كمركز لها يختلف عما إذا وضع على يمين رقم واحد ليصبح الكل الناتج هو رقم (١٠)، كما أن كل صفر من أصفار رقم (١٠٠٠) رغم تشابهه مع بقية الأصفار الأخرى إلا أنه يختلف في أهميته تبعاً لمكانه في هذا الكل. كما أننا ندرك هذا الكل (١٠٠٠) دفعه واحدة قبل أن نميز بين أى جزء من أجزائه، وإذا حذفت أى جزء أو أى عضو من هذا الكل (أى حذفت أى صفر من أصفاره أو حذفت الواحد) لتغير وتحول إلى كل مختلف ذي دلالة أخرى.

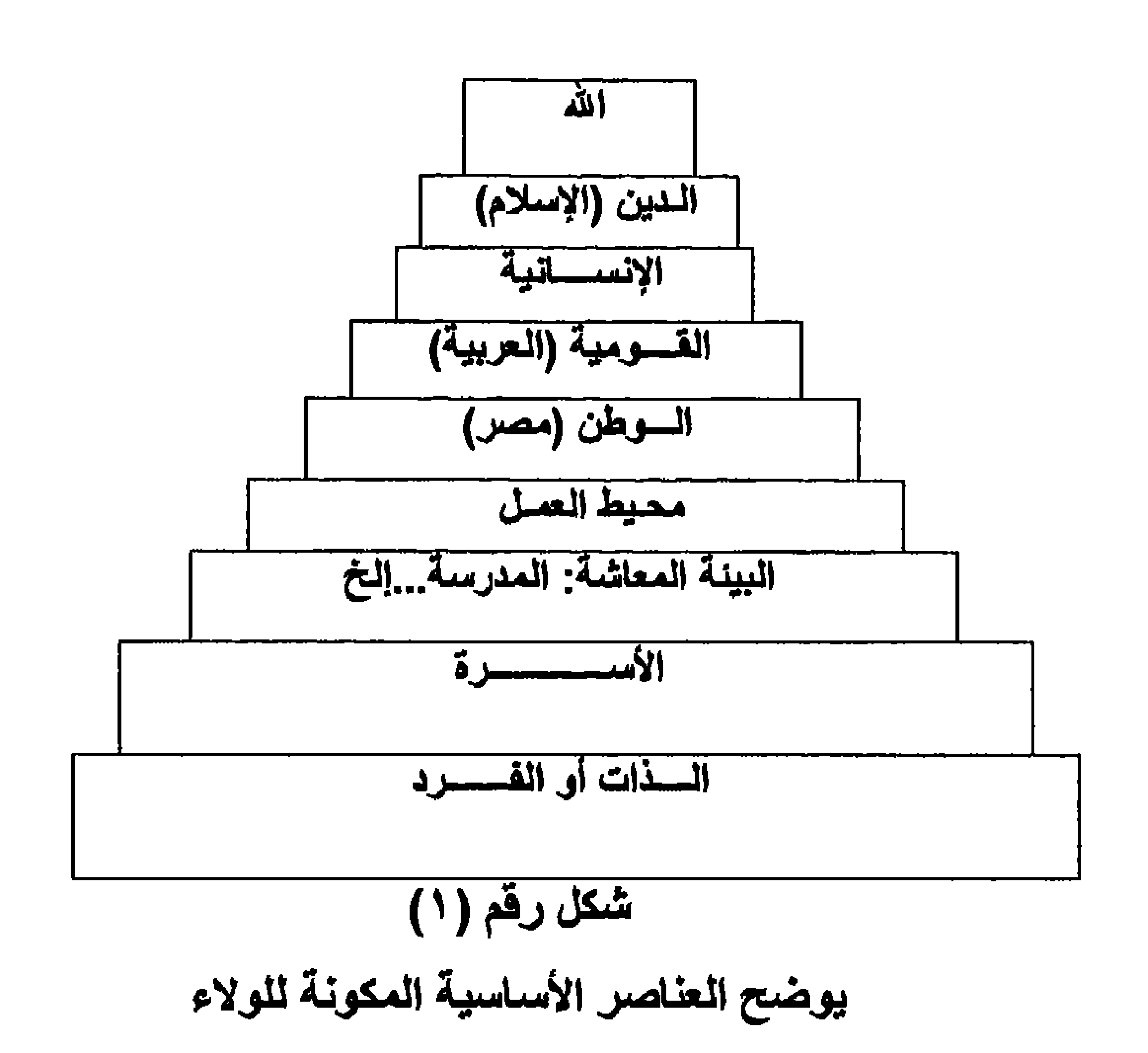
هكذا ينظر إلى "الولاء" على أنه "كل" أو "جشطلت" يتألف من مجموعة من الأجزاء أو العناصر التي تتفاعل مع بعضها البعض لتكون ولاء الفرد. وكما أن كل عنصر فيه يختلف في أهميته عن بقية العناصر، فإن أهميته أيضاً تتغير إذا ما انتقل بنفس حالته إلى جشطلت أخر لفرد أخر وعلى سبيل المثال إذا إفترضنا أن كل من الأسرة والمدرسة والجامعة ومحيط العمل هى عناصر مختلفة يسهم منها في صنع ولاء الفرد، فإذا عاش فردان في ظروف واحدة (رغم أن ذلك مستحيل) في كل من المدرسة والجامعة ومحيط العمل، وإختلفا فقط في عنصر واحد وهو "الأسرة" حيث كان الأول يتيم الوالدين ونشأ الثاني في رعايتهما، لنتج لنا في النهاية ولاءان مختلفان. وفي نفس الوقت فإن إسهام بقية العناصر التي إفترضنا تماثلها في كلاهما سوف يختلف بتأثير مبدأ التفاعل الكلي في أى من الجشطلتين.

إن المثال السابق إنما هو مبسط لدرجة مخلة تبعدنا عن الصواب. إذ في الواقع لا يمكن مطلقاً لفردين أن يعيشا نفس الظروف حتى وإن إشتركا في نفس

البيئة. فمن ناحية أولى أن كل فرد يختلف عن الآخر في شكله وذكائه وإستعداداته وبقية مورثاته، ومن ناحية ثانية أن الموقف الواحد الذي يعيشانه يولد تأثيراً مختلفاً لكل منهما، وهذا هو سبب ما نراه من دهشة الأباء حين يقررون أنهم قد عاملوا أولادهم نفس المعاملة، ومع ذلك نشأ كل منهم على صيغة "جشطلت" مختلفا! فالموقف الواحد الذي يجمع الوالدين وإبن أكبر وإبن أصغر هو جد مختلف لأى من الأربعة. فالمجال بالنسبة للوالد يضم: زوجة، وإبن أكبر، وإبن أصغر، وقد يكونوا جميعاً خاضعين له إذا كان هو مصدر السلطة في الأسرة. والمجال بالنسبة للإبن الأصغر يضم: أب، وأم، وأخ أكبر، ونفترض أنه خاضع لهم ويمثلون جميعاً سلطة ضاغطة عليه. ومن ثم لا يخفي إذن أن دينامية الموقف الواحد وآثاره تختلف بالنسبة لكل عضو فيه. إن ذلك يؤدي بنا إلى الحقيقة المعروفة عن وجود الفروق الفردية بين الناس في كل من الصفات أو السمات، وما الولاء إلا سمة من هذه السمات التي تختلف من حيث الكم أو من حيث الكيف من فرد لآخر. وإذا كان ذلك كذلك، فالولاء إذن يخضع للقياس والتقدير سواء كان قياساً كمياً أو تقديراً كيفياً. أى أن كلا من "تيار" القياس النفسي السيكوميتري الذي يعني بالقياس الكمي وإعطاء درجة كمية للسمة موضع القياس، فيقرر لنا باختباراته النفسية أو درجة ولاء فرد ما هى ٣ أو ٦ أو ٩ من ١٠ (درجات معيارية محولة)، وبالمثل تيار علم النفس الإكلينيكي أو التحليل النفسي الذي يعني بالتقدير الكيفي فيقرر لنا أن ولاء فرد ما مرتفعاً أو متوسطاً أو منخفضاً أو أن الولاء المنخفض لفرد بعينه يشكل خطورة كبيرة حين يقترن لديه بسمة أخرى هى السادية المرتفعة أو الميل إلى العنف أو التدمير. إن كلا من هذين التيارين الرئيسين في علم النفس سوف يدلي بدلوه في هذه القضية.

الولاء إذن جشطلت أو صيغة تشتمل على عناصر تختلف في أهميتها، ولنا أن نتصور أن هذه العناصر أو تلك الأعضاء تتدرج تدرجاً هرمياً يبدأ من قاعدة أساسية وينتهي إلى قمة عليا، وإذا كان الاتصال قائماً وسليماً بين القاعدة والقمة نتج لنا بلغة علم نفس الجشطلت "جشطلتا حسنا" أما إذا حدث إضطراب في هذا الاتصال أو شابه شائبة، فإنه ينتج لنا "جشطلت" أو "صيغة" أو "كل" ليس في حالة

الإتزان التي يتمتع بها الجشطلت الحسن. وعلى قدر هذا الإضطراب أو تلك الشوائب يكون كم الولاء أو كيفه. والقاعدة الأساسية لهذا الهرم هى "ذات الفرد" منذ لحظة ولادته – وربما من قبل ولادته – أما على قمة هذا الهرم يكون "الله" العلي القدير. ولاشك أن الطريق بينهما ارتفاعاً أو إنخفاضاً يمر عبر المجتمع بمختلف أبنيته وأنظمته: الأسرة، والمدرسة، ومحيط العمل، والوطن، وتتسع الدائرة إلى القومية ثم إلى الإنسانية جمعاء. ويظل الفرد –كأحد أعضاء هذا الكل- في حوار وتفاعل دائمين مع بقية الأعضاء، ويتوقف الجشطلت الناتج "الولاء" على نتيجة هذا الحوار أو ذلك التفاعل.



شكل رقم (١)

يوضح العناصر الأساسية المكونة للولاء

فإذا تصورنا ميزاناً ذا كفتين، فيمكن إذن أن نضع في إحداها "ذات الفرد" ونضع في الكفة الأخرى أى من العناصر المتدرجة في الهرم السابق أو بعضها أو كلها (الأسرة-العمل-الوطن-الدين...إلخ)، أو بتعبير آخر نضع في إحداها "الأخذ"

في مقابل "العطاء" في الكفة الأخرى، أو "النرجسية" (التمركز حول الذات) في مقابل "الغيرية" (الإيثار).

على أن التكامل السليم بين عناصر هذا البناء يحقق التوازن المطلوب ومن ثم ينتج الجشطلت الحسن أو الولاء كما نرغبه. وعلى العكس إذا حدث تضخم زائد أو نقص خطير في أحد هذه العناصر فإنه يصبح مركزاً لاستقطاب شحنات الولاء ومشاعر الفرد واهتماماته الموزعة على بقية العناصر مما يتولد عنه تناقض وإضطراب غير مرغوب فيه. وعلى سبيل المثال إذا رزق والد ما (يتصف بسمات معينة) بعد طول إنتظار –وربما بعد زواجه الثاني- بطفلة وحيدة وجميلة استحوذت على كل مشاعرة، فيمكن أن نتوقع أن ولائه وارتباطه العاطفي بهذه الإبنه يطغى على ولائه وحبه لكل ما عداها حتى نفسه أو وطنه. وبالمثل إذا استشعر فرد ما نقصاً كبيراً تجاه أقرانه من ناحية المستوى الاجتماعي أو المستوى المادي، فربما استقطب هذا النقص مشاعره واهتماماته بحيث أصبح الحصول على المال يفوق أى اعتبار لديه.

على أن هذا الجشطلت المتزن الذي نزعم قابل للاهتزاز تحت ظروف معينة، كما أنه قابل لإعادة توازنه مرة أخرى، بل إنه يسعى دائماً لإعادة هذا التوازن. فظروف الحرب مثلاً كفيلة بأن تستقطب طاقة الولاء في معظم المواطنين من كل عناصر الجشطلت لتشحن بأقصى درجة العنصر المعنى –أعني ولاء الوطن- كي تصبح له الأولوية المطلقة، ثم وبعد الحرب قد يعود المواطن مكرراً سعيه الأول وراء الحصول على إمتياز هنا أو ربح هناك يدعم به مكانته الشخصية أو العائلية. وهذا ما رأيناه بالفعل في حرب أكتوبر المجيدة فأثناء الحرب تجد التطوع بالنفس أو بالمال أو بالدم يبلغ ذروته، ثم وبعد الحرب- رغم أن حالة الحرب وإحتمالاتها مازالت قائمة- ينقلب التطوع إلى المطالبة، والبذل إلى استحواذ، وربما يسعى فرد ما لنقله من جبهة القتال الأمامية إلى القاهرة بجوار أسرته، أو يسعى لطلب زيادة في المرتب، أو يغضب من تأجيل تسليمه السيارة التي سبق أن حجزها قبل الحرب، ثم نسيها أثناء الحرب، ثم تذكرها بعد إنتهاء القتال.

المثال السابق يوضح لنا أن جشطلت الولاء – محطة الولاء الكلي بجميع أجزائه- هو من طبيعة ديناميكية متحركة ومتفاعلة وليست ستاتيكية ثابتة وجامدة. وهذه خاصية خطيرة يجب أن نضعها دائماً في الأذهان، إذ أن خاصية الديناميكية هذه أو هذه القابلية للتفاعل هى سبيلنا للتأثير والتغيير سواء في مجال الحرب النفسية، وقائية كانت أم هجومية، أو في مجال تجنيد العملاء والمندوبين. كما أن هذه الخاصية أيضاً، أعني القابلية لانتقال مركز ثقل الولاء من موضع لأخر، من الذات إلى الوطن...أو من الوطن إلى الدين...وهكذا تمثل في الوقت نفسه سلاحاً ذو حدين. لأن المندوب الذي قبل العمل معنا بدافع الولاء تجاه القومية العربية من الممكن بعد فترة من التشغيل وفي ظل ظروف جديدة –أن يصبح ولاؤه لذاته أكبر، ساعياً وراء تحقيق أكبر قدر من المتعة أو الأمن لنفسه أو لأسرته.

ونود أن نؤكد على أن الشرط الأساسي للحصول على جشطلت حسن، أو كل متزن، أو ولاء متكامل هو الاتصال السليم بين قمة الهرم الذي عرضناه وقاعدته، أعني بين الله والذات. لأن منهج الله ينظم الولاء –ولا يلغيه- تجاه تلك العناصر أو الأنظمة الأخرى في البناء والتي يواجهها الفرد في حياته إبتداءً من الأسرة إلى الوطن إلى الإنسانية جمعاء.

ثالثاً: الولاء في علم النفس

"الولاء" كمفهوم سيكولوجى، لم يلق من علماء النفس الدراسة الكافية، برغم أهميته القصوى سواء على مستويات الفرد أو الجماعة أو المجتمع، وذلك بالمقارنة إلى موضوعات أخرى كالذكاء والذاكرة والتوافق والإتزان....الخ . وسوف نحاول هنا أن نستخلص من أفكار بعض علماء النفس البارزين – فى مصر والعالم – مؤشرات هامة تلقى الضوء على الأبعاد السيكولوجية لمفهوم الولاء وديناميانه، كما سوف نعرض بعضاً من بحوثهم الميدانية المفيدة.

رؤيات نظرية –علماء أجانب

١- كاتل Cattell,R

ينظر ريموند كاتل إلى الشخصية على أنها بناء من السمات، وتعد السمة بالنسبة له (بنياناً عقلياً) ومن النقاط الرئيسية عنده تميزه بين "سمات السطح" وبين "سمات المصدر" scurce traits وهى الأكثر أهمية ويقول عنها (سمات المصدر تبشر بأنها المؤثرات البنائية الحقيقية التى تتحكم فى الشخصية) ومن المصطلحات الهامة فى نظريته: الدفعة الفطرية erg ويعدها سمة مصدر دينامية ويعرفها بأنها (استعداد فطرى نفسى- فيزيقى). أما "الدفعة المكتسبة" metaerg فتعد سمة مصدر دينامية أيضاولكنها ذات تشكيل بيئى فهى نتجة لعوامل خبرة أو لعوامل اجتماعية حضارية وليست لمحددات تكوينية .....

وتدخل فى هذه الفئة كل الانفعالات المشتقة كالتجاهات والميول والعواطف. وتكون العاطفة sentiment هى أكثر الدفعات المكتسبة أهمية فى نظرية كاتل، وهى فى كلماته (أببنية سمات دينامية رئيسية مكتيبة تتسبب فى أن ينتبه من يتسم بها إلى موضوعات معينة أو فئات معينة من الموضوعات، وأن يحس ويستجيب لها بطريقة معينة).

أما مفهوم التبعية subsidization عند كاتل فيعنى أسلوبايمكن به اكتشاف العلاقة المتبادلة بين السمات الدينامية.... فالتميز بين الدفعة الفطرية، والعاطفية،والاتجاه، والميل،يمكن أن يتم ببساطة وفقا لتسلسل التبعية،فجميعها سمات دينامية، إلا أن الميول تابعة للعواطف، على حين أن العواطف عادة تابعة للدفعة الفطرية.

لعل الاشارة السابقة لتفسير أهم المصطلحات فى نظرية كاتل فى الشخصية تيسر لنا معنى ذلك أنه حين يصبح "الوطن" موضوعاً للاحباط الشديد فى المجال السيكولوجى لفرد ما، فأن هذا الفرد فى سعيه لشباع دفعه الأمن الفطرية سيتجنب

المسالك المباشرة التى تربطها بالوطن، وسيتحرك لشباعها "بدوران طويل" من خلال موضوعات بديلة ترتبط بها "كالزوجة " أو "حساب البنك"، ومن ثم يتضخمان.

وجدير بالاشارة أيضاً، أن كاتل فى رسمه للشبكة الدينامية، قد وضع رئيس الدولة فى مستوى الاتجاه ثم يأتى "الحزب السياسى" فى مستوى العاطفة ويليه "الوطن" فى مستوى أعمق للعاطفة وقبل المستوى الأساسى للدفعات الفطرية، معنى ذلك ، وبالنظر لنزعة جمود الأستعداد التى قررها كاتل، يكون تغير اتجاه الفرد نحو رئيس دولته أيسر من تغيره نحو الحزب السياسى الذى ينتمى إليه، كما أن عاطفته نحو وطنه تكون أكثر ثباتاً منهما. ومع ذلك فان للفروق الفردية والموقفية اعتباراتها الخاصة.

لعل أيضاً نجد أن المفهوم السيكولوجى للوطن عند كاتل يلقى الضوء على مفهوم الولاء عنده. وعلى ذلك، وكما نستنبط يكون الوطن: موضوعاً لعاطفة قوية ترتبط بسلاسل متعددة للتبعية تتضمن دفعات فطرية معينة، وعواطف معينة، واتجاهات وميول معينة، كما يكون "الولاء للوطن": سمة مصدر دينامية ذات تشكيل بيئى metaerg، لها مكونات معرفية ووجدانية ونزوعية، وتبدى استعداد كبيرا للثبات والجمود disposition rigidity كما تخضع للفروق الفردية.

٢- موراى **Murray.h**

فى نظرية "موراى" فى الشخصية يعد مفهوم"الحاجة" need مفهوماً أساسياً، ويعرفها بأنها "مركب (تخيل مناسب أو مفهوم فرضى) يمثل قوة.... فى منطقة المخ، قوة تنظيم الإدراك، والتفهم،والتعقل، والنزوع، والفعل، بحيث تحول الموقف القائم غير المشبع فى اتجاه معين. وتستثار الحاجة أحياناً استثارة مباشرة من جراء عمليات داخلية من نوع معين.... ولكن الأكثر شيوعاً أن تستثار(فى حالة

استعداد) بوقوع واحد من تلك الضغوط القليلة التى يغلب أن تكون ذات تأثير (قوى بيئية).

ويشتق من مفهوم الحاجة مصطلح "العاطفة" ويعرفها بأنها "نزعة مستمرة إلى حد كبير أو قليل ... فى الشخصية إلى الاستجابة بوجدان ايجابى أو سلبى.

وإذا كان مفهوم "الحاجة" يمثل المحددات الجوهرية للسلوك داخل الشخص فإن مفهوم "الضغط" press يمثل المحددات المؤثرة أو الجوهرية للسلوك فى البيئة....فهو صفة أو خاصية لموضوع بيئى أو لشخص تيسر أو تعوق جهود الفرد للوصول إلى هدف معين ويرتبط به مصطلح "الشخصية الإنفعالية "cathexis" (وهو مصطلح الفرويدى التقليدى) للدلالة على قدرة موضوع بيئى على اجتذاب الفرد (شخصية إيجابية) أو على صده (شخصية سلبية).

ويؤكد موراى على العلاقة العضوية بين الحاجات (داخل الفرد) وبين الضغوط (الموضوعات البيئية)، والتفاعل الدينامى بينهما يحقق ما يسميه "تكامل الحاجة" need integrate الذى ينتج عنه الموضوع thema.

وعن العلاقة الدينامية بين الحاجات يقول"هول ولندزى" "عن موراى": من الواضح أن الحاجات لا تعمل كل منها فى عزلة تامة عن الأخرى ،وإن لطبيعة هذا التفاعل أو التأثير المتبادل أهمية نظرية فائقة .ويوافق موراى على حقيقة أنه يوجد تدرج معين (هيراركية) للحاجات تأخذ فيه نزعات معينة أسبقية على الأخرى. ويستخدم مفهوم أولوية القوة prepotency للدلالة على الحاجات التى (تصبح سائدة فى الحاح كبير إذا لم تشبع). وهذا يذكرنا بالطبع بهيراركية الحاجات النفسية الأساسية فى نظرية مازلو والتى تتدرج فيها من الحاجات الفسولوجية إلى حاجات الأمن، ثم الأنتماء والحب،ثم تقدير الذات، فإذا ما أشبعت هذه الحاجات بدرجة معقولة تظهر بعد ذلك الحاجة إلى تحقيق الذات.

"الوطن" إذن كموضوع بيئى يمكن أن يتضمن مختلف الضغوط ذات الشحنات الإنفعالية، الإيجابية والسلبية، كما يمكن أن يستثيرمختلف الحاجات

والعواطف فى جانب الفرد.ومع ذلك فالأجدر بنا أن نستنبط أولويات تلك الحاجات والضغوط حتى يتضح لنا نتاج ذلك التفاعل الدينامى (thema) المتعلق بالوطن.

وإذا ما تعرفنا على قائمتى الحاجات والضغوط اللتين قدمها موراى لتيسر لنا أن نستنتج أن أكثر الحاجات أهمية وأرتباطا بالوطن هى الحاجة إلى الأنتماء "affiliation" ويعرفها موراى بأنها "الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع أخر حليف (أخر يحب الشخص أو يشبهه). الحصول على إعجاب وحب وموضوع مشحون انفعالياً. التمسك بصديق والاحتفاظ بالولاء له. ويقرر موراى أن "ميل الفرد إلى الانصياع لقوانين مجتمعه إنما يتضح جزئياً عن طريق تلك الحاجة العامة للإنتماء والمشاركة في جماعة عاملة، كما نستنتج أيضاً من قائمة الضغوط التي قدمها موراي أن "ضغط الإنتماء" ، لابد أن يتقدمها بالنسبة للوطن كموضوع بيئي- على الأقل- حتى يتناظر مع "الحاجة إلي الإنتماء"، كي تتحقق بالتفاعل بينهما فكرة "تكامل الحاجة".

على أن الإنتماء سواء كان حاجة أساسية في داخل الفرد، أو كان ضغطاً ملحاً من جانب الموضوع، يتضمن ديناميات نشطة ومتشابكة، وعلى سبيل المثال، فإن الأمن والحماية والرعاية التي يوفره االوطن "الدولة" لمواطنيه تستثير وتشبع حاجة لافرد إلي تجنب الأذى، كما أن القوانين والنظم التي تفرضها الدولة تستثير وتشبع الحاجة إلي "النظام"، هذا فضلاً عن أن لافرد لابد وأن يجد في وطنه أهدافاً متنوعة لإشباع حاجته إلي "التذوق الحسي"، (التذوق الحسي، والنظام، وتجنب الأذى، كلها حاجت وردت ضمن قائمة موراي)، وينشأ عن هذه التفاعلات الدينامية -طبقاً لمصطلح موراي- خطة موجهات- قيم Vector-value scheme هى أشبه بالشبكة الدينامية عند كاتل.

وعلى ذلك فأننا نرى أنه، حسب نظرية موراى في الشخصية، يكون الولاء للوطن" حالة معينة من تكامل حاجات need integrate وthema تنشأ عن لاتفاعل بين الوطن بضغوطه وحثه وشحناته الإنفعالية، والمواطن الفرد بحاجاته

الفسيولوجية والنفسية وعواطفه، ومن ثم فإن للفروق الفردية كما للظروف البيئية دورها في تحديد طبيعته.

٣- فروم Fromm,E

يقول "أريك فروم": "أن فهم نفس الانسان لابد أن يبنى على تحليل حاجات الانسان التابعة من ظروف وجوده، ويقرر هول ولند زي عن فروم أن عددها خمسة هي: الحاجة إلي الإنتماء(القائمة على الحب الخلاق الذي يتضمن الرعاية المتبادلة)، والحاجة إلي التعالي (حاجة الانسان إلي الإرتفاع فوق طبيعته الحيوانية ليصبح شخصاً خلاقاً)، والحاجة إلي الإرتباط بالجذور(فالانسان يريد أن يكون جزءاً متكاملاً من العالم)، والحاجة إلي الهوية (الهوية الشخصصية المتميزة والتي قد تتحقق أيضاً بالإنتماء إلي شخص او شركة أو دولة)، واخيراً الحاجة إلي إطار توجيهي أو إطار مرجعي (تيسير طريقة ثابتة مستقرة في إدراك العالم وفهمه).

أن هذه الحاجات عند فروم، انسانية وموضوعية خالصة ... وقد أصبحت جزءاً من طبيعة الانسان من خلال التطور والإرتقاء..ويعتقد فروم أن لاصور النوعية التي ترعب بها هذه الحاجت عن نفسها والطرق الفعلية التي يحقق بها الانسان إمكانياته الداخلية تحددها: (الترتيبات الاجتماعية التي يعيش في ظلها)، فشخصية الانسان تنمو على حسب الفرص التي يتيحها مجتمع معين له، ففي المجتمع الرأسمالي مثلاً قد يتحقق لديه الشعور بالهوية الشخصية عندما يصبح ثرياً، كما ينمو لديه الاحساس بالإرتباط بالجذور عندما يصبح موظفاً في شركة كبيرة يمكن الإعتماد عليه ولاثقة فيه، بعبارة اخرى، أن توافق الانسان مع المجتمع يمثل عادة حلاً وسطاً بين الحاجت الداخلية والمطالبت الخارجية، فهو ينمي طابعاً اجتماعياً يتفق ومقتضيات المجتمع.

أن الأسرة والدولة هما-في عصرنا الحالي- أهم النظم الاجتماعية التي من شانها أن تلبي كل هذه الحاجات الخمسة التي حددها فروم، وإذا كانت الأسرة

تضطلع بالدور الرئيسي ابان فترة الطفولة، إلا أن الدولة -الدولة الوطن- تظل هي المنبع الأساسي الذي يطرح أهداف وطرق الإشباع سواء على مستوى الأسرة أو على مستوى لافرد، فالإنتماء ينبثق ممن كيانها، والتعالي يتحقق بما تتيحه الدولة من ميادين العمل ولاغبتكار، أما تاريخ الأمة ففيه تضرب أعماق الجذور، كما أن هوية الفرد تتأسس على جنسيته، وأخيراً فإن الثقافة التي تحياها الدولة تمثل الإطار المرجعي لكل مواطنيها.

وعلى ذلك فإن الفرد-خاصة بعد فترة الطفولة- يكشف ان الدولة هي الطرف المقابل الذي يعين الأهداف ويمتلك الوسائل لإشباع حاجاته، بل ويحدد الشروط الضرورية والمعايير اللازمة بتحقيق هذا الإشباع ومقداره، وأن مهمته كفرد هى التغلب على هذه الشروط الضرورية وتحقيق تلك المعايير اللازمة.

ولاشك أن الاتجاه النفسي للفرد نحو دولته، أو بتعبير اخر، ولاءه لها، يتوقف على موقفه من هذه الشروط والمعايير، فإذا كان بادئ ذي بدء، وبصرف النظر عن مدى موضوعية هذه الشروط والمعايير، يراها غير عادلة أو لا معنى لها، أو كان قد أخفق في تحقيقها ومن ثم لم ينل الإشباع الذي يسعى إليه بالوسائل المشروعة، ففي هذه الحالة ينشأ لديه اتجاه سلبي نحو دولته ويقل ولاؤه لاها، وعلى العكس إذا كان متقبلاً للشروط الموضوعة وقانعاً بها، ونجح في تحقيقها، ونال ما كان يسعى إليه، فتحقق لديه الإشباع والرضاء السيكولوجي، فحينئذ يكون اتجاهه نحو دولته إيجابياً كما يكون ولاؤه لها قوياً .

٤- جاروس، جرانت Jaros & Grant

عن العلاقة بين الولاء والحاجات الشخصية، وأثر معايير الجماعات المرجعية يقول جاروس وجرانت في كتابهما "السلوك السياسي" ١٩٧٤: "من المرجح أن تأثير مجموعة معينة على لافرد يتوقف على مدى شدة حاجته لما تقدمه هذه المجموعة من إشباعات، وهذا يتوقف بالتالي على نوعية الحاجة من حيث هل

هي أساسية للفرد وإلي أي حد، وأيضاً على إمكانية تلبيتعها بواسطة مجموعات اخرى بديلة، ومن الواضح أن العائلة توفر للفرد الاحتياجات الأساسية جداً، والطفل يتعلم أ نينظر إلي الكثير مما يدور حوله في هذا العالم بنفس نظرة والديه، وربما بنفس نظرة كثير من الناس الاخرين الذين من نفس المستوى الحضاري".

"وكثيراً جداً ما تواجهنا هذه الفكرة الجدلية عند مناقشة "التطبيع السياسي" للأبناء، فإذا كان للإبن علاقات منسجمة مع الشخصيات صاحبة السلطة في بيئته الأولية "العائلة"، فمن المفترض أن رد فعله غزاء السلطات الجديدة الأكثر بعداً "زعماء الحكومة" سيكون على نفس المنوال، إذ أنه سوف يسقط صورة الأب لديه على الشكل الجديد للسلطة، أما العلاقات العائلية المضربة فمن المفترض انها تنذر بصعوبات فيما بعد مع السلطات السياسية".

"على أن تأثير العائلة يأخذ في الوهن في مجالات كثيرة كلما كبر الطفل، فالواقع أن العئالة تواجه منافسة متزايدة من أقران الطفل، وبصفة خاصة في توفير الأشياء، الأقل أساسية، مثل الصلات الاجتماعية المحببة... وحيث أنه من المعتاد أن ينتمي الأطفال لمجموعات كثيرة في وقت واحد، فإن إخفاق احدى هذه المجموعات في التاثير على سلوكهم قد يكون إشارة إلي نجاح المجموعات الاخرى في ذلك".

"ومن الواضح أن هناك بعض المجموعات التي قد بثت في اعضائها معايير عامة جداً أو نوعاً من التوجيه السيكولوجي، ومن ثم فإن السلوك السياسي قد يكون نتيجة مباشرة لهذا المعيار العام أو التوجيه السيكولوجي حتى ولو لم يكن للمجموعة أية معايير سياسية على الإطلاق، فمثلاً، نجد أن للمجموعات الدينية غالباً أنماطاً مميزة للسلوك السياسي، ومع أن هذه الظاهرة يمكن أن تعزي إلي إرتباط مصالح المجموعة ببدائل سياسية معينة، إلا أن هناك احتمالاً بأنها تنبثق من المبادئ اللاهوتية التي تؤمن بها المجموعة إيماناً عميقاً، فكثيراً ما يحتدم الجدل بأن ميل اليهود إلي تأييد السياسات الليبرالية يرجع إلي حقيقة أن الوعي الاجتماعي جزء أساسي وجوهري من المعتقدات الدينية اليهودية. وبالمثل يقال أحياناً أن التأييد البروتستانتي الواضح للمرشحين الجمهوريين وللسياسات المالية المحافظة (اليمينية

التقليدية) هو نتيجة للتوافق الفلسفي الأساسي بين الأخلاق البروتستانتية والرأسمالية. ومع انه من الصعب إثبات صحة هذه الآراء بطريقة مباشرة إلا أنها تمثل احتمالات هامة لا ينبغي إغفالها.

وعن العلاقة بين الولاء السياسي ومستوى التعليم والمستوى الاجتماعي الاقتصادي يقول المؤلفان "جاروس وجرانت":

أوضح كثير من الدارسين العلاقة بين التعليم والنشاط السياسي، وقد أظهر المسح الذي أجرى في الولايات المتحدة أن الأشخاص الأكثر تعليما هم الذيم – على الأرجح- يدلون بأصواتهم في الانتخابات ويسعون وراء الحصول على معاومات عن القضايا السياسية كما أن التعليم يمنح الناس فرص الحصول على مراكز اجتماعية في الحياة تتفاعل مباشرة مع السياسة، مما يعطيهم حافزا موضوعيا أكبر بسبب عجزهم عن تحقيق الكثير مما يسعون إليه من أهداف- يتولاهم اليأس ويتوقفون عن السعي، او يغلب عليهم الشعور بالغربة في أوطانهم، ويمكن اعتبار هؤلاء بمثابة مستودع من السخط فهم قوم تولاهم الإحباط فآثروا الصمت والإعتزال والتغييرات الكبيرة قد تنفذ بتحريض هذه الطبقات الدنيا التي تشعر بالإغتراب ولا تشترك في النشاط السياسي ولكن من ناحية أخرى هناك أحيانا خطأ يقع فيه بعض الثوريين في فهم مصادر تأييدهم، فإن ما قد يبدو أنه صوت الجماهير المحرومة التي تحررت أخيرا بعد سنوات طويلة من الصمت، قد يكون في الحقيقة صوت قطاع صغير (ولكنه واضح جلي) من الطبقة المتوسطة أي ليس على الإطلاق وافدا جديدا على العمل السياسي.

وعن الولاء وعلاقته بالأسطورة السياسية

يقول المؤلفان: أن الأسطورة السياسية نموذج للرموز السياسية الأساسية التي تتضمن الافتراضات الأساسية التي يضعها أعضاء المجتمع عن شئونه الجوهرية، مثل وصف التركيب الاجتماعي والفلسفة الأساسية للدولة أو الحكومى وكذلك كل القصص وسير الأبطال والاحتفالات الرسمية والأعلام وكل رموز

العاطفة نحو .. والانتماء إلى.. الدولة المذكورة في الأسطورة السياسية. إن هذه الرموز هي التي تثير الإعجاب والحماس وتنتشر وتدعم روح الإيمان والولاس للوطن.

وإذا نظرنا إلى المساجلات التليفزيونية بين كينيدي ونيكسون في عام ١٩٦٠ من هذه الزاوية، فسوف نتبين بوضوح أن فعاليتها لم تكن لتقاس بمدى التغير في آراء الناس الناجم عن الحجج المنطقية لكل من المرشحين... لقد اتاحت تلك المساجلات لـ كينيد أن يعرض نفسه بطريقة منسجمة مع الرموز الديمقراطية والأمريكية التقليدية الهامة في نظر كثير من المشاهدين فجعلتهم يخلقون من ه صورة منسجمة مع رؤياتهم الشخصية. ونحن نرى بازاء هذه النقطة أنها ربما كانت أحد الأسباب الهامة في فوز ريجان على كارتر يث ظهر ريجان وبالنظر إلى تاريخه السابق في السينما – ظهر معبراً أكثر عن الأسطورة السياسية الأمريكية.

نستخلص مما سبق أن جاروس وجرانت قد اكدا على عدة نقاط أبرزها:

١- أن التطبيع السياسي يحدث تلقائيا خلال عملية التطبيع الاجتماعي وتفاعلاتها التي يمر بها الفرد إبان فترة طفولته وهو في حضانة أسرته، فعلاقته بوالديه هي بمثابة الجذور التي تتفرع عنها علاقاته المستقبلية بالسلطات السياسية في مجتمعه، وعلى طبيعة هذه الجذور تتوقف ثمار علاقاته بأوجه السلطات المتنوعة.

٢- أن الإختيارات السياسية للفرد قد تكون انعكاسا لطبيعة العقيدة الدينية التي يعتنقها، أو لطبيعة الفلسفة التي تحكم الجماعة البارزة التي ينتمي إليها.

٣- أنه من المحتمل جدا أن يكون الأكثر تعليما هو الأكثر فرصا للحصول على مراكز اجتماعية متميزة، والأكثر مشاركة في الحياة السياسية، ومن ثم يكون أكثر إشباعا لحاجاته الشخصية بما يجعله أكثر ولاء للنظام السياسي. وذلك على عكس الأقل تعليما والذي غالبا ما يعجز عن تحقيق الكثير من أهدافه، ومن ثم يكون اكثر تعرضا للإحباط الذي يولد العدوان ومشاعر السخط وعدم الولاء تجاه النظام السياسي القائم.

٤- أنه كلما كانت الحكومة معبرة عن خصائص الشعب ومعاييره الثقافية كلما تمتعت أكثر بولاء هذا الشعب.

٥- رينشون Renshon

في كتابه "الحاجات النفسية والسلوك السياسي" (١٩٧٤) يتخذ ستانلي رينشون الحاجات الأساسية، كما عرضتها نظرية مازلو، أساسا للبناء السيكولوجي للقيم والاتجاهات الاجتماعية السياسية، كي يؤكد على أهمية الانتباه لهذه الحاجات كمحددات رئيسية للسلوك السياسي. ولقد اقترح رينشون اختزال تلك الحاجات الأساسية الخمسة عند مازل (الفسيولوجية، الأمن، الإنتماء والحب، تقدير الذات، تحقيق الذات) إلى حاجة نفسيه أساسية أسماها "الحاجة إلى الإحساس بالضبط الشخصي" personal control ويقرر أنها: موجودة لدى كل انسان من حيث أنه يسعى إلى السيطرة على القوى والخبرات التي تؤثر على تشكيل حياته، وهي أساسية من حيث أنها تعمل كمنظم سيكولوجي لدوافع الإنسان وموجهاته نحو العالم، كما أنها تختلف في درجاتها ومداها من فرد لآخر باختلاف اعتقاده في قدرته على السيطرة على القوى التي تؤثر في حياته، ومن ثم فهي حقيقة واقعة وقابلة للقياس.

ويقول رينشون أنه "قد وجد ارتباطا ايجابيا ودالا في مدى الضبط الشخصي" بين الآباء والأبناء، كما وجد أن الآباء الحاصلون على درجة عالية في سمة المشاركة الوجدانية empathy يتمتع أولادهم بثقة عالية في الآخرين، وذلك كله مرتبط بدوره بالثقة السياسية والمشاركة السياسية. وكان المختبرون الحاصلون على درجات عالية في الضبط الشخصي يميون لأن يصفوا أنفسهم السعادة والرضا... بينما من حصلوا على درجات منخفضة كانوا ينظرون إلى الحكومة على أنها غير فعالة وتعمل من أجل العقاب وليس الثواب. وهذا يعني أن النظام السياسي الذي يدركه الناس على أنه معوقا أمام تحقيق حاجاتهم الأساسية سوف يلقي المتاعب.

إن هذا المنظور يتيح لنا نظرة أخرى تجاه السلوك الثور، فليس من المحتمل أن أي ثورة تحدث نتيجة المعاناة من نوع واحد من الحرمان، بل أن دراستنا توضح أن الجماعات المختلفة تعاني من حرمانات مختلفة كذلك، وحين تصبح هذه المعاناة عامة وعميقة فإنه تنشأ عن ذلك احتمالات قيام الثورة. وهذا يفسر السبب في أن الثورات يقودها أفراد يعانون بشدة من حرمانات متنوعة بينما يغذيها أفراد يشعرون بدرجات أقل من هذه المعاناة، كما أنه في كثير من الدول النامية تعني الشعوب بالحاجة الأساسية إلى الطعام ولكنهم أيضا قد يعانون بنفس الدرجة من الحرمان من تقدير الذات والحاجة إلى الشعور بقيمة الذات.

وبخلاف اقتراحه حول الحاجة إلى "الضبط الشخصي"، نلحظ أن الجديد الذي أبرزه لنا رينشون، أن هناك عتبة أو نقطة حرجة للحرمان –أياً كان نوعه– يبدأ بعدها التمرد والثورة ضد الحكومة. وبالتالي فإن أية حكومة يجب أن تضع في اعتبارها وفي دراساتها هذه النقطة الحرجة بالنسبة للشعب الذي تحكمه بجماعاته وطبقاته المتنوعة، خاصة إذا ما كانت تواجه بعض الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية أو العقائدية.

٦- ستون Stone

في كتابه "علم النفس السياسي" ١٩٧٤ يعرض وليام ستون كيف يكون الولاء للوطن أو لجماعات معينة أو لرئيس الدولة، وكيف يكون السلوك السياسي بصفة عامة، نتاجاً لتفاعل الفرد ببنائه السيكولوجي مع بيئته بمحدداتها الاجتماعية والسياسية.

ويقترح ستون خطة لتحليل بناء الشخصية تشتمل على ثلاثة عوامل رئيسية هي:

١- عوامل التوحد (الأنا): وتعني أساساً وعى الشخص بذاته كموضوع نشيط ومن بينها: مفهوم الذات، تقدير الذات، التوجيه الاجتماعي.

٢- العوامل المعرفية (الأنا): وتعني أساساً عمليات المعرفة والتفكير، ومن بينها: الذكاء، الاتجاهات، القيم.

٣- العوامل الإنفعالية (الهو، الأنا الأعلى): وتتضمن أساساً مشاعر الفرد ورغباته، ومن بينها: الثقة الأساسية، القلق، التعصب، الكراهية، الرغبات.

ويعرض ستون خريطة تبين تحليلاً للعوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤثر على السلوك السياسي وتتضمن العوامل السابقة لبناء الشخصية، وهو يشير إلى اقتباسه لهذه الخريطة عن سميث (١٩٦٨)، وأهم ملامح هذه الخريطة تتضح كما يلي:

مشكلاته أو مشكلات مجتمعه، فهو يميل إلى أن يكون أما شخصاً لا مبال أو شخصاً عدوانياً.

وهكذا يؤكد لنا "ستون" على الارتباط الوثيق بين كل من بناء الشخصية والعوامل البيئية والسلوك السياسي وبين الولاء الوطني وإحساس الفرد بالإنتماء الإيجابي إلى مجتمعه.

٧- المز Elms

ومن زاوية خاصة، يشير "آلان المز" إلى العلاقة الوثيقة بين سيكولوجية الفرد وبين ولائه الاجتماعي السياسي، أو بين بناء الشخصية والاتجاهات الاجتماعية السياسية، ففي كتابه "الشخصية في السياسة" (١٩٧٦) يتبنى نتائج دراسات "سميث، وبرونز، وهوايت" (١٩٥٦) حول "الوظائف الرئيسية للاتجاهات السياسية وقد قرروا أنها ثلاثة هي: التوافق الاجتماعي، (دور الاتجاهات في صيانة العلاقات مع الآخرين)، وتقويم الهدف (استخدام الشخص لاتجاهاته في محاولاته

لتقويم العالم من حوله وعلاقته بمصالحه واهتماماته)، والتخريج (وهو يعني أن الشخص يتعامل مع الأحداث والموضوعات الخارجية من خلال مشكلاته الداخلية).

إلا أن المز يقرر أن أهم الوظائف السابقة هى وظيفة التخريج ويقول: "أن الأمثلة المطابقة لهذه الوظيفة تلك التي تعطي عن السلوك العصابي أو السلوك الذهاني لأولئك الذين يطلقون الرصاص على رئيس الدولة، والسبب في ذلك يرجع إلى اختزانهم لكثير من الغضب والثورة ضد آبائهم لمدة طويلة. أو كمثال حالة "البرت روك" عند "سميث، ويرونر، وهوايت" الذي كان يعاني في صمت من الوساوس المرضية عند زوجته، فصار ينتقد بقسوة "إجراءات الروس لإضعاف الرابطة الأسرية"، وبذلك يدعم القمع أو الكبت ضد بواعثه الشخصية لإضعاف رابطته الأسرية ورغبته المستترة في الإنفصال عن زوجته".

ومن هنا يؤكد "المز" بشكل غير مباشر على العوامل اللاشعورية التي تشكل ولاء الفرد وسلوكه السياسي وعلاقته بالسلطة.

٨- رشتون Rushton

يتناول "فيليب رشتون" قضية هامة تتصل إتصالاً وثيقاً بموضوع الدراسة – الولاء وسيكولوجية الشخصية – ويضعها عنواناً لكتابه "الإيثار، التطبيع الاجتماعي والمجتمع" (١٩٨٠)، ولذلك نعرض بعض آراءه فيها بشيء من التفصيل:

يبدأ رشتون بوضع "الإيثار" altruism في مقابل الأنانية egoism، ويعرف "الإيثار" بأنه: "سلوك اجتماعي يهدف إلى تحقيق نتائج إيجابية بالنسبة لآخر أكثر منها بالنسبة للذات"، ويعرف "الأنانية" بأنها: "على عكس الإيثار..سلوك اجتماعي يهدف إلى تحقيق نتائج إيجابية بالنسبة للذات أكثر منها بالنسبة لآخر".

ويحدد رشتون نظامين دافعين للإيثار هما:

١- المشاركة الوجدانية empathy ويعرفها بأنها: "حالة المؤائمة الإنفعالية بين شخصين".

٢- المعايير norms ويعرفها بأنها: "القواعد والتقنيات التي بواسطتها نتمكن من تقويم الأحداث ومن ثم نقبلها أو نرفضها "وهى بالنسبة لمسألة الإيثار تنقسم إلى ثلاثة أنواع هى: أ. معايير المسئولية الاجتماعية (فالناس يميلون أكثر إلى مساعدة من يعتمدون عليهم) ب. معايير العدالة (ففي داخل كل منا ميزان يستخدمه لتقدير مدى العدالة في بيئته، فإذا شعر باختلال به فإنه يتحرك لإعادة التوازن). جـ. معايير تبادل المعونة (فالناس سوف يساعدون من سبق أن تلقوا مساعدة منهم). وهذه المعايير بطبيعتها شخصية وهى تخضع بالتالي لحقيقة الفروق الفردية.

ويكون الإيثار إذن "نتاجاً للتفاعل بين سمات الشخص (نظامه الذاتي للمعايير الشخصية والمشاركة الوجدانية) وبين الموقف بعناصره المتغيرة.

ويقرر رشتون أن "الإيثار" سمة trait، وذلك من حيث أن دراسات عديدة أثبتت وجود ارتباط إيجابي مرتفع بين نتائج اختبارات السلوك الإيثاري للفرد وبين تقديراته عن أقرانه أو مدرسيه، مثل دراسة "هارتشورن"، وماي (١٩٢٩) التي كان فيها معامل الارتباط هذا يصل إلى (+8,). إن نتائج هذه الدراسات تشير بدرجة معقولة من الاتساق والعمومية إلى حقيقة السلوك الإيثاري وتدعم القول بوجود الشخصية الإيثارية.

فالشخص الإيثاري يتصف بالاتساق وبالأمانة وبالمثابرة وبضبط النفس، أكثر بكثير من الشخص غير الإيثاري. ومن المرجح أن الشخص الإيثاري الأصيل يتمتع بشخصية متكاملة، وبالإحساس بالفاعلية، والشعور بالسعادة، أنه يتمتع بما يمكن تسميته بالشخصية المتكاملة.

رابعاً: الولاء والحاجات النفسية الأساسية

الولاء لمن يلبي الحاجات:

لعل هذه العبارة تنطبق على حياة كل فرد منذ ولادته حتى مماته. والفرق في مراحل العمر يناظره فرق في الحاجات. فحاجات الطفولة تختلف في محتواها عن حاجات المراهقة، وهذه تختلف عن حاجات الشباب أو الكهولة. فالحاجة إلى "الطعام مثلاً هى حاجة ثابتة طوال حياة الإنسان، أما نوع الطعام فإنه يختلف إبان دورة الحياة، كما أن يختلف من فرد لآخر حسب مزاجه وميوله. والحاجة إلى "الأمن" هى أيضاً حاجة ثابتة، ولكن الطفل قد يخشى إبتعاد أمه، والصبي قد يخشى الظلام، والشاب قد يخاف من المستقبل، والمسن قد يخاف الموت. هذه الصور المختلفة للقلق أو الخوف إنما يمكن ردها جميعاً إلى أصل واحد هو فقدان الأمن.

وهنا قد يبرز سؤال هام هو: هل يحب الطفل أمه لأنها فقط تمنحه الطعام والأمن؟ أم أن حبه لها هو حب عزيزي أو فطري يولد به؟..وقد يصاغ مثل هذا السؤال في صيغة أخرى هى: هل حب الأم حب فطري أم حب مكتسب؟ وقد يصاغ في شكل آخر هو: هل حب الأم موروث أم متعلم؟

إن هذه الصياغات المختلفة لنفس السؤال تتصل إتصالاً خطيراً بالقضية المطروحة "الولاء". لأننا يمكن أن نستشعر بسهولة الارتباط الوثيق بين كل من الحب والولاء فهما ولاشك مترادفان. فمصر هى أمنا الحبيبة، وفرنسا هى أم الفرنسيين الحبيبة وألمانيا هى أم الألمان الحبيبة. فإذا كان حب الأم موروثاً فلا يمكن استبدالها، كما يصعب – إن لم يكن مستحيلاً- التخلص من حبها مكتسباً أو متعلماً فإنه ..يمكن استبدالها!! وهكذا يصل بنا الاسترسال إلى قضية هامة يلزم أن نواجهها ببعض من مفاهيم علم النفس.

لعل من المنفيد هنا أن نطرح أحد المبادىء التي اتفق عليها كل من التيارين المتعارضين في علم النفس، والذي يسمى مبدأ "الإزاحة" Displacemnt في التحليل النفسي ويقابله مبدأ "التعميم" Generalization في مذهب السلوكية.

والمثال الطريف الذي يوضح لنا معنى الإزاحة: أن الرئيس في العمل قد يعنف أحد مرؤوسيه، وهذا المرؤوس – لأنه يقدر على رد هذا العدوان من حيث أنه لايستطيع أن يعنف رئيسه بالمثل، نجد أنه حين يعود غضبانا إلى منزله يتشاجر مع زوجته لسبب أو بدون سبب فإذا بها أيضا تضرب ولدها لسبب أو لغير سبب ثم لا يجد هذا الصغير المسكين إلا لعبته ليكسرها في النهاية.

في هذا المثال يتضح لنا أن طاقة العدوان قد تمت ازاحتها من موضوع لا قبل للفرد به (الرئيس في العمل) إلى موضوع آخر يقدر عليه. ومن هنا فقد نرى أن عدوان إسرائيل المستمر تجاه الأقلية العرب فيها إنما هو عملية إزاحة للعدوان المختزن الذي وقع من قبل ألمانيا النازية على اليهود. والتعميم بالمثل فإن أي عربي قدر يكره كل يهودي حتى لو كان غير إسرائيلي لأنه عمم طاقة الكراهية الموضوعية الموجهة تجاه يهود إسرائيل على بقية يهود العالم.

وقبل أن نستطرد أكثر في تناول مبدأي الإزاحة والتعميم، نجيب أولا على السؤال الذي مازال مطروحا: هل حب الأم موروث أم مكتسب؟ بأن الإنسان بكل أنواع سلوكه بما فيها عواطفه وأفكاره ومعتقداته هو محصلة التفاعل بين كل من الوراثة والبيئة، أي بين كل من خلايا جسمه ومخه ومراكز أعصابه وبين البيئة الاجتماعية والجغرافية والأيديولوجية التي يحياها. فالولاء كسمة من السمات الشخصية له أصل موروث أو أن شئت قل "طاقة فطرية" يشترك فيها كل من المصري والفرنسي والألماني.. اما أمر توجيه هذه الطاقة تجاه موضوع محدد فهو لاشك أمر مرهون بالبيئة، أي مكتسب أو متعلم. فالمصريون طاقتهم الولائية قد وجهت إلى مصر، والفرنسيون طاقتهم الولائية قد وجهت إلى فرنسا وهكذا بالنسبة لشعوب العالم على اختلافهم. ولنا أن نستنتج هنا إذن أن مبدأ الإزاحة أو التعميم إنما يمارس أساسا بفعل البيئة التي يحياها الفرد، إذ يزيح الفرد مشاعره تجاه موضوع معين ويعممها على موضوعات أخرى في بيئته يجدها متشابهة مع الموضوع الأصلي الذي أحبه أو كرهه.

ويكاد يتفق معظم علماء النفس على أهمية السنين الأولى في حياة الفرد أوثرها في بناء شخصيته، إلا أن مدرسة التحليل النفسي لها تأكيدها الواضح في هذا الإعتقاد ويؤكد "إريسكون" ERIXON الذي أعاد من جديد صياغة نظرية فرويد" في نمو الشخصية صياغة تتواءم أكثر مع أذن السامع بعيدا عن المصطلحات الجنسية كما – في نفس الوقت تتفاعل أكثر مع تقدم العلوم الاجتماعية والإنسانية، يؤكد كثيرا على السنة الأولى في حياة الطفل ويسميها "الثقة الأساسية" basic trust وهى التي تقابل المرحلة الفمية عند فرويد ويبين لنا أن طبيعة العلاقة المتبادلة بين الأم وطفلها في أسلوب رضاعته وطبيعة استجابته تجاهها تشكل حجر الزاوية في حياة الفرد كلها. فإذا كانت هذه العلاقة علاقة صحية وسليمة تقوم على أساس التفاعل لعلاقة تبادلية حنونة وعلى أساس التناغم بين عطاء الأم وإمكانيات الطفل، تحقق للطفل في عامه الأول ما يسميه "الثقة الأساسية" قاصداً بكلمة "الثقة" ذلك الإحساس بالجدارة والتقبل والثقة في النفس وفي نفس الوقت الإحساس بالثقة تجاه الآخرين ويصفها بأنها "أساسية" لأنها تقوم عليها المراحل التالية للنمو. ويقرر أنه لم تتحقق هذه الثقة الأساسية للطفل في عامه الأول فإنه لن يتأتى له تحقيقها بعد ذلك ومن ثم سينشأ شاباً يشعر بالنقص في نفسه وبعدم تقبله من الآخرين، وأيضاً سيكون رافضاً لهذا العالم من حوله عدوانياً لكل ما ينتمى إليه. والجدير بالذكر أنه لكي تتحقق هذه الثقة الأساسية للطفل في عامه الأول لابد أن تتمتع أمه بهذه الثقة الأساسية بحيث تشعر في نفسها بالثقة تجاه نفسها وتجاه العالم من حولها، متقبلة لدورها في الحياة، مقبلة على طفلها بكل الحب والرغبة فيه. إذ أن فاقد الشىء لا يعطيه. فحين تكون الأم على درجة عالية من هذه الثقة الأساسية فإنها ستنتقل إلى طفلها أثناء رضاعته وإحتضانه وأرجحته..

إننا نستطيع الآن أن نتبين العلاقة بين كل من الحب أو الولاء وبين مبدأ "الإزاحة" أو "التعميم" من ناحية أولى، وبين طبيعة العلاقة المتبادلة بين الفرد وأمه (أو بديلتها) في شتى مراحل حياته الأولى ومدى ما تكون قد خلفته من إحساس بالثقة الأساسية من ناحية ثانية، وبين الوطن أو العالم الخارجي من ناحية ثالثة.

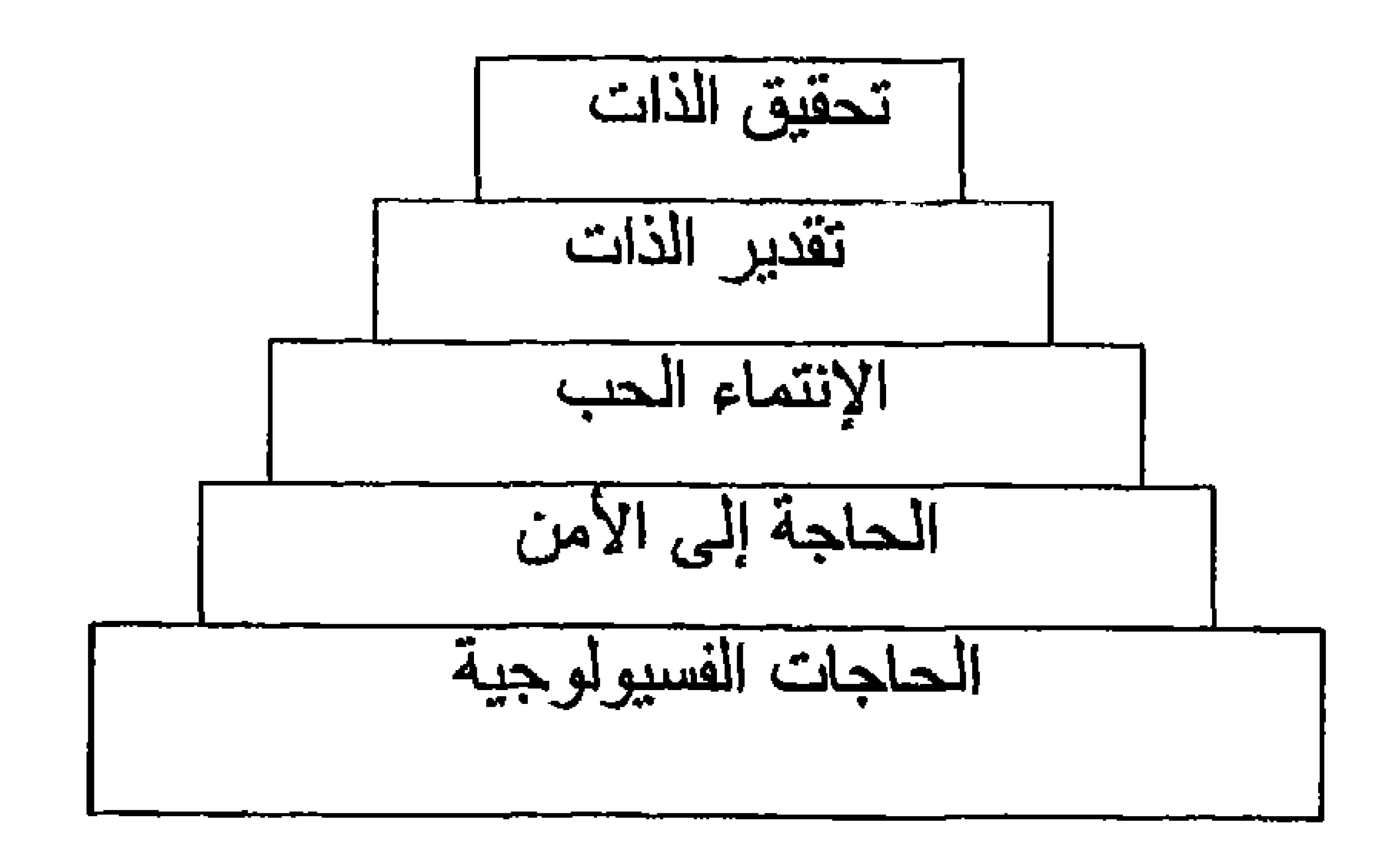
فالفرد الذي نشأ مؤسساً على قدر كبير من هذه الثقة الأساسية، وإذا إجتاز مراحل النمو التالية عليها بنجاح، سوف "يزيح" أو "يعمم" هذه الثقة أو هذا الحب من ذاته..إلى الأم..إلى الأب.. إلى المدرسين ..إلى الرؤساء..إلى المجتمنع من حوله..إلى الوطن الذي يحمل جنسيته. أما إذا نشأ عدوانياً فاقداً لهذه الثقة الأساسية فإنه وإن لم يزح هذه الطاقة العدوانية تجاه والديه بسبب سلطانهم المباشر عليه وبسبب حاجته إليهما، فإنه حتماً سيزيحها إلى موضوعات خارجية بديلة. إن العدوانية تجاه الأب يمكن أن تزاح إلى الرؤساء في العمل أو إلى السلطة في المجتمع.

لقد رأينا إذن أن بذور الحب تغرسها الأم (أو بديلة الأم) في أطفالها منذ ولادتهم، وتنمو بالعطاء المناسب والرعاية السليمة، وبمعنى آخر يتوقف نماء بذور الحب هذه على مدى تلبية حاجات الفرد بالقدر وفي الوقت المناسبين.

فما هى إذن الحاجات الأساسية للفرد؟

لعلنا نجد الجواب في نظرية "ماسلو" Maslo الذي يرى أن الحاجات Needs– أو إن شئت قل الدوافع Motives Or Drives- يراها فطرية موروثة وغريزية الأصل Instinctionned ولكنها ليست محددة كالغرائز، كما تؤكد نظريته أن هناك تدرجاً هرمياً في هذه الحاجات. فالحاجة السفلى يجب أن تشبع أولاً إلى درجة معقولة قبل أن تظهر الحاجة الأعلى منها في الدرجة.

ويرى "ماسلو" أن هناك خمس فئات تقع فيها حاجات الإنسان الأساسية أو دوافعه كما هو موضح في الشكل رقم (٢):



١- الحاجات الفسيولوجية وهى دوافع بيولوجية – كالجوع مثلاً – إشباعها يؤدي إلى إيجاد حالة توازن في الفرد ومن أمثلتها (الجوع – العطش – النوم – الإخراج – الجنس...).

٢- إذا ما أشبعت الحاجات الفسيولوجية نسبياً فإنها تضعف وبذلك يهيء لظهور حاجات الحماية أو الأمن – وهى تشمل الحاجة إلى التخلص من القلق والتهديد والألم.

٣- إذا ما أشبعت الحاجة إلى الحماية والأمن فهى تضعف وبذلك يهيء لظهور حاجات الإنتماء والحب، وتتضمن هذه الفئة في الحاجات: الصداقة والتقبل في الجماعة والرغبة في إنجاب الأطفال.

... والحب هنا ليس مرادفاً للجنس، فالجنس في ذاته يمكن أن يدرس على أساس أنه حاجة فسيولوجية محضة، وبطبيعة الحال فإن السلوك الجنسي عادة يكون متعدد الدوافع والأهداف. كما لا يجب أن يفوتنا هنا أن الحب في جوهره السليم يتضمن في نفس الوقت عمليات الأخذ والعطاء على مختلف المستويات السيكولوجية.

٤- يعلو هذه الحاجات في الدرجة حاجات التقدير. إذ أن الفرد في حاجة إلى تقدير نفسه وتقدير الآخرين...والفرد يبحث دائماً وباستمرار عن الحاجات إلى احترام الذات وتقدير الذات من جانب الآخرين في المجتمع، كما أنه بدوره يقوم باحترام الآخرين وتقديرهم. وتتضمن هذه الفئة الحاجة إلى القوة، والتحصيل الدراسي، والكفاية، والتفوق، والمكانة الممتازة.

٥- وفي قمة الهرم توجد الحاجة إلى تحقيق الذات وهى بالتالي لا تظهر إلا إذا أشبعت بدرجات معقولة الحاجات الأخرى. وتعني هذه الحاجة أن الفرد يرغب في أن يحقق ذاته في عالم الواقع حيثما وبقدر ما تستطيع طاقاته.

ويضيف "ماسلو" إلى هذه الحاجات الرغبة في المعرفة والفهم، والحاجات الجمالية. ويرى أن هذا التدرج الهرمي ضروري، والفرد لا يجد في العادة صعوبة في تحديد الحاجات ذات الأولوية عنده التي يجب إشباعها.

ولا يجب أن يفهم أن أياً من تلك الحاجات لا تظهر إلا إذا أشبعت الحاجة التي قبلها بدرجة ١٠٠%، ففي الواقع أن الفرد العادي في مجتمعنا إنما يشبع حاجاته الأساسية بدرجات متفاوتة، وفي نفس الوقت أيضاً لا تكون مشبعة لدية بدرجات أخرى: وعلى سبيل الإفتراض –من أجل التوضيح فقط – نقول أن الفرد العادي يمكن أن تكون الحاجات الفسيولوجية مشبعة لدية بدرجة ٨٥%، والحاجة إلى الأمن بدرجة ٧٠%، والحاجة إلى الإنتماء والحب بدرجة ٥٠% أما الحاجةإلى تقدير الذات فتكون مشبعة بنسبة ٤٠%، وفي النهاية فإن الحاجة إلى تحقيق الذات تكون حينئذ مشبعة بدرجة ٣٠%.

كما أن ظهور تلك الحاجات لا يكون فجائياً ولكن تظهر كل منها بشكل تدريجي وبطيء. وعلى سبيل المثال فإنه إذا اشبعت الحاجة "أ" بدرجة ١٠% فإن الحاجة "ب" التالية عليها قد لا تظهر على الإطلاق. ولكن إذا ما بلغت درجة إشباع الحاجة "أ" ٢٥% فإن الحاجة "ب" قد تظهر حينئذ بنسبة ٥%، وحين يصل إشباع الحاجة "أ" إلى درجة ٧٠%، تظهر الحاجة "ب" بنسبة ٥٠% وهكذا.

ويؤكد "ماسلو" أنه لابد من توفير الظروف الملائمة والمناخ المناسب لإشباع تلك الحاجات الأساسية لدى الإنسان. وتتمثل مثل هذه الظروف أو الشروط في حرية الفرد في التعبير عن رأيه، وفي حريته أن يفعل ما يريد طالما لا يعتدي على حريات الآخرين وكذلك في حرية البحث والحصول على المعلومات، وفي إقامة العدل وحرية الدفاع عن النفس. وأن إعاقة مثل هذه الحريات أو إعتراضها سوف

يشكل تهديداً ويؤدي إلى ظهور استجابات ضارة، وبدون توفير هذا المناخ الصحي سوف يكون إشباع هذه الحاجات الأساسية لدى الإنسان أمراً صعباً ومهدداً بالخطر.

وإذا ما حاولنا أن نبحث عن تطبيقات لها في المجتمع المصري نستطيع أن نعقد بسهولة عدة مناظرات، وعلى سبيل المثال فإن صعوبة الظروف الاقتصادية التي تعيشها "مصر" في هذه الآونة وارتفاع الأسعار قد تكون سبباً لتهديد الحاجات الفسيولوجية للفرد بدرجة أو بأخرى، ومنها بالطبع الحاجة إلى الطعام وإلى الكساء، ومن ثم فإن اهتمامات الكثيرين، وحجم الزمن الذي تستغرقه المناقشات في مجلس الشعب، ومساحة ما ينشر في الصحف اليومية، وحديث رجل الشارع، وكل ما يتعلق بالظروف الاقتصادية وأفضل الأساليب لحل الأزمة قد يفوق كثيراً مقدار الاهتمام أو زمن المناقشات أو مساحة ما ينشر وكل ما يتعلق بجلاء إسرائيل عن بقية الأراضي العربية المحتلة. أى أنه حين ظهر تهديداً – ولو من بعيد – إلى تلك الحاجات الفسيولوجية للإنسان والتي تمثل حجر الأساس في هرم "ماسلو" إتجهت كل الجهود والاهتمامات إلى هذه الحاجات الفسيولوجية بينما قل نسبياً مقدار الدافعية التي تنبعث من الحاجة التي تعلوها وهى "الحاجة إلى الأمن" والتي تتمثل في إنهاء حالة الحرب وجلاء إسرائيل عن الأرض العربية.

وقد نتساءل أحياناً عن السبب وراء هجرة بعض العلماء من بلدهم الأصلي إلى بلد آخر ربما يكون أكثر تقدماً ، رغم إدراكهم بأن وطنهم أشد عوزاً لجهودهم. ألا يكون السبب أحياناً أنهم لا يشعرون في وطنهم بالتقدير الكافي والواعي لمكانتهم العلمية، هذا التقدير غير الكافي قد يتمثل لهم في الإنخفاض النسبي لمرتباتهم التي يتقاضونها من الدولة، فإنه يشعر بالمرارة والحسرة في نفسه ربما يكون ذلك أحد الأسباب التي تدفعه إلى الهجرة كما أن التقدير المعنوي له أيضاً أهميته بالنسبة للعالم، ففي الدول النامية – بوجة عام – لا ينال العالم تقديراً معنوياً بالحجم الكافي، حيث أن عدد العلماء من أقرانه أو عدد المؤسسات العلمية التي تهتم بدراساتهم يكون في العادة أقل حجماً من أن يحقق له التقدير الذي يتطلع إليه، وربما يشكل ذلك سبباً آخر لهجرته.

هذا من ناحية مدى إشباع "الحاجة إلى التقدير" أما بالنسبة للحاجة إلى "تحقيق الذات" فقد يكون أقوى الدوافع لهجرة العالم من بلده النامي بسبب تكوينه الشخصي وبنائه النفسي غير العادي، والذي يشكل فيه الطموح والرغبة في المعرفة سمة أساسية. وكل عالم يتطلع بشغف إلى معمل يجري فيه أبحاثه العلمية التي ستقرن باسمه أكثر مما يتطلع إلى شيء أخر، وهو إن لم يجد هذا المعمل في بلده فسوف يبحث عنه في بلد أخر.

إن المال هو المطلب الأول لدى الغالبية العظمى من الأفراد – لماذا؟

لأنه يحقق غالباً كل الحاجات الأساسية. فالفرد يستطيع أن يحصل به على ما يتقصه ويلبي حاجاته فبالمال يستطيع أن يشتري الطعام، ويوفر لنفسه الأمن، وقد يشتري أيضاً إنتماء الآخرين له ومن ثم إنتمائه لهم، ويحصل على التقدير الكافي والمكانة البراقة، كما أنه يستطيع بالمال أن ينشيء مشروع العمل الذي يحقق به ذاته. ومن هنا ارتفعت قيمة المال في هذا العصر وصار العملة العالمية التي تلبي كل الحاجات، وقد ضربنا بالعالم مثلاً وقلنا أن توفير معمل متقدم قد يكون أحب إليه من ملايين الجنيهات. وأحياناً نجد من الأفراد من ليس بعالم إلا أن له شخصية العالم، وقد يكون أوائل خريجي الجامعات من هذا النمط إذ يفضلون أحياناً وظيفة تحقق لهم ذواتهم العلمية أكثر من وظائف أخرى تمنحهم أجوراً أعلى. كما أننا قد نصادف غنياً ولكنه غير سعيد لعدم إحساسه بالإنتماء والحب الحقيقيين، لأنه يشعر بأن الآخرين إنما يمنحونه الحب والإنتماء من أجل ماله، لا من أجل ذاته.

هذه الأمثلة تبين لنا أن الفرد يسعى دائماً لإشباع حاجاته، أى أنه يسلك سلوكاً متجهاً إلى مصدر الإشباع، وسوف تتوقف قوة الجذب نحو مصدر الإشباع تتوقف سرعة الفرد في التحرك نحوه على مدى إلحاح حاجاته، فالفرد الجائع جداً سوف يجري إلى "المطبخ" مباشرة كي يأكل أي شيء يصادفه، ولكن الجائع قليلاً سوف ينتظر الطعام في حجرة الطعام وقد ينتقي من أنواع الأطعمة المقدمة ما يتفق ومزاجه فقط، أما الفرد غير الجائع فسوف لا يتجه إلى الطعام ولا إلى مصدره. ومن هنا جاء القول بأن مزاجه فقط أما الفرد غير الجائع فسوف لا يتجه إلى

الطعام ولا إلى مصدره. ومن هنا جاء القول بأن عملية التجنيد الناجحة تقوم على تلبية حاجة هامة وملحة لدى العميل الذي عادة يفتقد في بيئته الاجتماعية إلى ما يلبي حاجته الملحة هذه.

خامساً: الولاء والإسلام

إذا ما حاولنا أن نربط بين عناصر هذه الدراسة سواء تلك التي تقدم بحثها على المستوى النظري، أو تلك التي ستتلوها في المستوى التجريبي، لن نجد رباطاً لها خير من حبل الله "اعتصموا بحبل الله جميعاً...".

عرضنا فكرة أن الولاء "جشطلت" يشتمل على عدة أجزاء تتدرج تدرجاً هرمياً، الذات في أسلفه والله في أعلاه وبينهما يوجد المجتمع سواء كان متمثلاً في الأسرة أو المدرسة أو محيط العمل أو الوطن، أو اتسعت دائرته لتشمل القومية أو وصلت إلى منتهاها لتحيط بالإنسانية جمعاء. وقد قلنا أن الولاء ما هو إلا محصلة كفتى ميزان توضع في إحداها الذات وفي الأخرى ما شئت من بقية الأنظمة أو الأبنية التي تعلوها في ذلك الهرم الذي عرضنا. وذلك ما يتفق والواقع إذ أن حياة الفرد ما هى إلا سلسلة متتابعة من الحوار بينه وبين تلك الأنظمة، وقد أشرنا إلى أن الجشطلت الحسن هو الذي يتحقق له أفضل توازن بين تلك العناصر أو النظم. وأن ذلك يتحقق فقط عند أفضل إتصال بين القاعدة والقمة أو بين الإنسان وربه. وأفضل توازن بين تلك العناصر أو النظم. وأن ذلك ما يتفق والواقع إذ أن حياة الفرد ما هى إلا سلسلة متتابعة من الحوار بينه وبين تلك الأنظمة، وقد أشرنا إلى أن الجشطلت الحسن هو الذي يتحقق له أفضل توازن بين تلك العناصر أو النظم. وأن ذلك يتحقق فقط عند أفضل إتصال بين القاعدة والقمة أو بين الإنسان وربه. وأفضل إتصال هذا يتم حين يكون الفرد متفهماً فهماً حقيقياً لمنهج الله، كأن يصرف كل وقته في العبادة فقط مهملاً مسئولياته الاجتماعية سواء تجاه أسرته أو تجاه عمله، وحين ذلك

سيواجه ذلك سيواجه حتماً التناقض مع أسرته ورؤسائه، ومن ثم لن يتحقق التوازن السليم في جشطلت الولاء.

يقول الله سبحانه وتعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً". (النساء – ٥٩). في هذه الآية الكريمة يحدد لنا الله – الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير – النقاط التي نبدأ منها خطواتنا، والمنابع التي نستقي منها منهجنا، والمصادر التي نرجع إليها إذا ما إختلفنا في تفصيلات الأمور. فالآية تخاطب الذين آمنوا بأن يطيعوا الله أولاً في قرآنه، ويطيعوا الرسول ثانياً حيث يتمثل منهج الله سلوكاً في مواقف الحياة الفعلية "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً" (النساء –٨٠)، "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (الأحزاب- ٢١). ثم يطيعوا أولي الأمر منهم وهم مستمرون ما بقيت الحياة. فالأسرة لها ربانها، والعمل له رئيسه، والدولة لها حاكمها، وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بقي المنهج محفوظاً في القرآن والسنة "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". إلا أن أولي الأمر هم الأشخاص الذين سيكونون في حوار دائم مع الفرد منذ الطفولة حتى مماته، ومن ثم ظهرت إحتمالات اختلاف وجهات النظر، وهنا تخاطبنا الآية الكريمة (وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول).

وفي قضية "الولاء" وجدنا أن الفرد في حوار دائم إزاء ثلاثة محاور:

١- الحور الأول يتمثل في حواره مع نفسه وحاجاته الأساسية سواء الحاجات الفسيولوجية أو حاجات الأمن أو الإنتماء أو التقدير أو تحقيق الذات.

٢- المحور الثاني يتمثل في حواره مع مجتمعه بمختلف أنظمته سواء على مستوى الأسرة أو محيط العمل أو الدولة أو العالم.

٣- المحور الثالث يكون فيه مع "الله" والدين كما يفهمه الفرد.

وأحياناً ما يرى الفرد تعارضاً بين هذه المحاور الثلاثة، وقد تكون رؤية الفرد لهذا التعارض رؤية حقيقية أو رؤية خاطئة. ومع ذلك –وعلى وجه العموم إذا

رأى الفرد تعارضاً ما فإنه لاشك سيعيش موقف صراع في نفسه، وتتوقف شدة هذا الصراع على مقدار شدة التناقض حسبما يراه.

وربما تكون الدولة –أو الوطن – أقوى العناصر وأشدها إلحاحاً في مطالبة الفرد بالولاء لها، من حيث أن الدولة تملك سلطة العقاب لعدم الولاء والذي قد يصل إلى الإعدام. فعدم ولاء الفرد لأسرته قد لا يترتب عليه الكثير وأيضاً عدم ولاء الفرد لربه فإن عقابه عند الله سبحانه وتعالى. ونتذكر هنا مثالاً قريباً منا يوضح سلطان الدولة ومواقف الصراع إزاء مشكلة الولاء. فقد قرأنا في بعض الصحف أن بعض الطيارين السوريين قد أعدموا لرفضهم ضرب القوات المعارضة في لبنان إبان الحرب الأهلية فيها، فإذا كان كذلك فلنا أن نتصور أن هناك من بين هؤلاء الطيارين من وقف إزاء اختيار صعب بين عدة ولاءات متعارضة: الولاء لوطنه سوريا في مقابل الولاء للقومية العربية حيث الفلسطينيين يقتلون بأيدي عربية، أو في مقابل الولاء للدين حيث المسيحيين ضد المسلمين.

إن الإسلام هو دين الدولة وهو المصدر الرئيسي للتشريع (مادة ٢ من الدستور) وهو قبل ذلك منهج الله سبحانه وتعالى أو هو حبل الله الذي أراده ممتداً قوياً بينه وبين الإنسان، وذلك فهو خير من يحقق التوازن المطلوب لكل من الفرد – من ناحية – والمجتمع – من الناحية الأخرى – في أي صورة كانت: الأسرة أو الدولة أو القومية...إلخ.

فالإسلام قد أرسل للناس كافة، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهو ينظم حياة الفرد في المجتمع، والسلام – كلمة ومعنى – يتردد بين جنبات القرآن ويشيع في حياة المسلمين.

لقد كان الرسول في أحد جوانبه العظيمة أول قائداً للدولة الإسلامية. وقد نشر دعوته في بدايتها سراً ونجحت لأسباب عديدة كان من أهمها ثلاثة أسباب هي:

١- أنها حق.

٢- أنها نمت في أحضان العشيرة.

٣- أنها إنتهجت نهج الولاء في أكمل صوره.

أما أنها حق فلأنها من الحق جل جلاله، ومن ثم فقد زلزلت عقيدة الباطل – عقيدة الكفر والشرك – وكان لابد لها أذن أن تنتصر وتبقى، لأن الصراع يطول إذا ما قام بين باطل وباطل، أما إذا حدث الخلاف بين حق وباطل فسيقصر الصراع وسينهزم الباطل لا محالة.

ولاشك أن القوة الدافعة لأى سلوك تنبعث من عقيدة الفرد وعلى قدر رسوخ العقيدة وسلامتها يتوقف استقرار سلوك الفرد وصحته. وكان هذا هو حال الصحابة في صدر الأسلام، وقد هان كل شيء أمامهم في سبيل العقيدة. وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرد على ابنه الذي كان قد قابله قبل إسلامه – في معركة "بدر" وقال لأبيه – معايرة ومنا -: "لويت وجهي عنك" فيرد عليه أبو بكر: "والله لو رأيتك لقتلتك". وذلك الصحابي في غزوة "بئر معين" ينادي بعد أن أصابه رمح قاتل في ظهره: "فزت ورب الكعبة".

و"مصعب بن عمير" وهب كل أمواله للإسلام وهذه "أم حبيبة" بنت أبي سفيان تهاجر إلى المدينة تاركة أباها كافراً في مكة ثم تترك زوجها في الحبشة بعد أن استنصر عائدة إلى المدينة، فاستحقت بذلك أن تكون أماً للمؤمنين. وهذه "الخنساء" ما أعظم الفرق بين موقفها في الكفر حين قتل أخاها فملأت الدنيا بأشعارها حزناً ورثاءً ووعيداً، وبين موقفها في الإسلام حين بلغها استشهاد أبنائها الأربعة فما فعلت إلا أن حمدت الله ودعته أن يجمعها وإياهم في الجنة. وإذا قال قائل إن هذه أمثلة فردية تعبر عن مواقف ذاتية أو لحظية، نسوق له العديد من أمثلة الصمود الجماعي ومنها ذلك الحصار الاقتصادي الرهيب الذي فرضته قريش في مكة لمدة ثلاث سنوات على "بني عبدمناف" قبيلة الرسول (ص) حتى يرجعوا عن دينهم فما رجعوا وظلوا على عهدهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

من ذلك نرى أن العقيدة الحقة هى خير أساس يبني عليه الولاء المتين. لأن صدقها سوف يحافظ دائماً على ثباتها. والذي يعتنق عقيدة هشة أو مبدءاً مزيفاً سوف لا يستمر ولاؤه ثابتاً وسيضعف بدرجة أو بأخرى في موقف أو آخر.

فمن يمنح ولاؤه كاملاً للإسلام سينظر إلى الحياة الدنيا باعتبارها وسيلة وطريق إلى الغاية المرجوة: إلى رضاء الله وجنته. إنه حين ذلك لن ينعزل عن الحياة الاجتماعية معتكفاً على الصلاة فقط بل سيقبل على الحياة بأسرها، فكل من أولاده، وزوجته، ووالديه والأقربين، والمجتمع الذي ينتمي إليه، بل والإنسان حيث كان، كل هؤلاء هم وسائل تقربه من الله تعالى، ومن ثم سيسعى حتماً إلى الإحسان إليهم جميعاً، ضارباً على كل يد خائنة تمتد للإضرار بأى منهم وسوف الإسلام في قلبه بمثابة الزيت الذي لا ينفذ لتظل شعلة الإيمان متوقدة منيرة، ويظل ولاؤه ثابتاً قوياً مادامت حياته.

أما من أتخذ إلهه هواه أو استمد عقيدته من رغباته وأهوائه فستكون الحياة بالنسبة له غاية في حد ذاتها ومن ثم سينكب على كل ما فيها، وسيصبح لا هم له سوى الأخذ والاستقبال، ولن يعرف قيمة المنح والعطاء، ومن ثم سيظل ولاؤه متأرجحاً منتقلاً بين المصادر التي تستطيع أن تمنحه أكثر.

إن الولاء الثابت القوي هو ثابت وقوي لأنه يرتبط بالواحد الأحد، أما الولاء الضعيف المهتز هو ضعيف ومهتز لأنه يرتبط بأهواء الإنسان ورغباته وما أكثر اختلافاً وإهتزازاً.

ذكرنا أن الدعوة الإسلامية قد نجحت لثلاثة أسباب، كان أولها أنها حق وقد عرضنا كيف يكون الحق أساساً للولاء المتين. أما ثاني هذه الأسباب فلأنها نمت في أحضان العشيرة.

بدأ الرسول (ص) دعوته مبتدءاً بالأسرة متمثلة في زوجته "خديجة" رضي الله عنها فأقربائه ومعارفه، ثم انتشرت إلى المدينة المنورة حيث أقيمت أول دولة للإسلام، ثم أخذت في الانتشار حتى بلغت ما كان.

فرغم أن الإسلام جاء للناس كافة، إلا إنه كان لابد ان يبدأ بفرض (الرسول) ثم إلى أسرته فأصدقائه فقبيلته فعشيرته فمجتمع البيئة وهكذا.. وهذا يناظر التدرج الطبيعي "للولاء" الذي يبدأ أولاً من الفرد الذي يزيحه إلى أسرته فإلى مجتمعه، أى أنه لا يوجد أى تعارض في منهج الإسلام بين أى من الذات والأسرة والمجتمع

والإنسانية، بل أن الله سبحانه وتعالى يقرر أن الإحسان هو طابع المعاملة بين هذه المستويات الاجتماعية والمتباينة والتي تختلف في قربها أو في بُعدها من الفرد "وأبعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً" (النساء- ٣٦).

على الله أن يعلم أن الناس سيختلفون في أمور حياتهم، من هنا قال الله سبحانه "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله" كما أنه حدد أسلوب الحوار والجدل بين المختلفين في وجهات النظر وكأن شعاري "السلام الاجتماعي" "الوحدة الوطنية" هما إنعكاساً صادق لقول الله "إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" (النحل – ١٢٥) وقوله "من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أدفع بالتي هى أحسن فالذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظاً عظيم" (فصلت -٣٢-٣٥).

لقد كان عامل الأمن والسرية هو الطابع المميز طيلت السنوات الأولى في نشر الدعوة في مكة، وكان هدفها بالطبع تغيير عقيدة الشرك بالله إلى عقيدة التوحيد، وثانياً إلى طريقة التنفيذ التي انتهاجها الرسول في غرس الدعوة في نفوس أصحابه، وتدريبه المستمر له لفهم جوهر العقيدة وتقويتها بالحب والولاء. هؤلاء الصحابة الأوائل أصبحوا جهازاً كاملاً لنشر الدعوة طبقاً للسياسة التي رسمها الرسول بوحي من الله - وما أحوجنا نحن أن ندرس مالياً ما أعتبه رسولنا الكريم.

وإذا كان عامل الأمن والسرية هو المحدد الأول لنشر الإسلام آن ذاك، فإن عملية تأمين ناشري الدعوة كانت أيضاً أمراً جوهرياً. من هنا جاء أمر الرسول – حين استشعر خطراً وتهديداً لحياة هؤلاء الرواد – بهجرة معظمهم إلى الحبشة حفاظاً على حياتهم إدخارهم إلى الوقت المناسب. وبذلك يعلمنا الرسول كيف يتحقق التوازن بين عاملي "الكفاءة والأمن" بحيث لا يقف أحدهما ضد الآخر. فالأمن يجب

أن يتطور في أسلوبه لخدمة الكفاءة، لأن الدعوة يجب ان نستمر في الانتشار ولا تتوقف. فالهدف اساسه "كفاءة" والأمن في خدمتهم.

والأمر لا يتوقف فقط على الولاء الاجتماعي أو الولاء المهني، بل نستطيع أن نجد امثلة في التاريخ الإسلامي تتناول أيضاً قضية الولاء الشخصي لشخص الحاكم الشرعي، ولعل من أبرزها موقف "خالد بن الوليد". فعندما ظهر للخليفة أبي بكر أن المعركة التي كانت مرتقبة في الشام ستكون معركة ضارية وفاصلة، رأى ان يعهد بالقيادة العامة لخالد بن الوليد وأنتقل خالد على جناح السرعة من العراق إلى الشام وتسلل الموقف وباشر مهام قيادته ووضع الخطة وحرك القوات للعمليات وكسب المعركة. وحدثت مفاجأة تبدل لها الموقف في القيادة. فقد مات الخليفة أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب الذي قرر عزل خالد وتولية "أبي عبيدة" قيادة الجيوش في المعركة الدائرة الرحي. وما كان من خالد حين بلغه الأمر – والنصر على الأبواب- إلا أن نزل عن القيادة بكل إرتياح واستمر تحت قيادة القائد الجديد يوجهه إلى دوره ووفق احتياجات المعارك. وقد قال قال عمر في ذلك: رحم الله أبى بكر كان أعلم مني بالرجال وقال لخالد: ما عزلتك لريبة فيك ولكن إفتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس.

وإذا كان قد أوضحنا سلفاً أن الولاء درجات. وأنه وإن كان له أساساً فطرياً إلا أنه يتشكل بفعل التربية والبيئة فكذلك أيضاً الإيمان. وما الإيمان إلا ولاء الله. إذ هو درجات. أدناها ما يتعلق بالنفس الأمارة بالسوء، وأوسطها ما يتعلق بالنفس اللوامة، وأعلاها ما تنتهجه النفس المطمئنة. كما أن الإيمان في أساسه "فطري" وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم تأتي بعد ذلك ظروف التربية وعوامل البيئة كي تسهم في تنميته وتقويته أو تعمل على ستره وإضعافه.

وإذا كان الإنسان عامة يشق طريق ولاؤه في اتجاه من يلبي حاجاته الأساسية وقد يغير الطريق إذا يئس من العطاء، فإن المؤمن خاصة لا يجد سوى الله تعالى مصدر لحاجاته، ولا يعرف اليأس ولا القنوط إذا لم تصير الأمور على مراده بل أنه يجد في البلاء فرصة لتدعيم إيمانه وتثبيتاً لولاءه. فيتذكر حديث الله "من

عبادي من أحب دعائهم فأنا ابتليهم ليقولوا يا رب "إنه" هو الله الذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم الملك المقدوس السلام المؤمن المهيمن". إنه الله "الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين والذي يمتني ثم يحين. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين. رب هب لي حكماً وإلحقني بالصالحين. واجعل لي لسان صدق في الآخرين".

إن الباحث الراهن لا يدعي لنفسه حق الفتوى، ولكنه يحاول الاجتهاد قدر استطاعته رغم تحفظه بأن الاجتهاد في الدين له شروطه وأسبابه، ولكن لعل إثارة بعض الخواطر يكون مفيداً للوصول إلى الحقيقة أو على الأقل تأصيلها من الناحية الدينية، وخاصة وأن مجتمعنا في معظمه يُعد بحق مجتمعاً متديناً، يلعب الدين فيه الدور الأساسي في مختلف جوانب نشاطاته الحياتية.

سادساً: أساليب تنمية وتدعيم الولاء

إن مصلحة الوطن والمجتمع تقتضي ضرورة إنشاء هيئة مستقلة على أعلى مستوى تكون مسئوليتها الأولى هى وضع استراتيجية شاملة لحماية الشخصية القومية المصرية والإرتقاء والمحافظة على قيم المجتمع السياسية والدينية والأخلاقية، وذلك من خلال التنسيق مع الوزارت والهيئات المعنية مثل (الأزهر – التربية والتعليم – الإعلام – الداخلية – الأوقاف – الشباب والرياضة – الشئون الاجتماعية – القضاء – الثقافة ... إلخ).

وفيما يلي عرض الباحث لأهم أساليب تنمية وتدعيم الولاء، ويمكن تلخيصها بدءاً بمرحلة الطفولة التي يمتد أثرها من غير شك إلى جميع مراحل النمو التي يحياها الفرد فيما بعد، على النحو التالي:

١- وضع خطة علمية مدروسة للإرشاد والتوجيه النفسي السليم لكل من الزوجين لتوفير المناخ النفسي الصحي والتربوي لتربية الأطفال في سن ما قبل المدرسة،

ولاشك أنه كلما كان الزوجين متوافقان متحابان ويتمتعان بالصحة النفسية، كلما كنا قادرين على صنع بيئة صحية لنمو أطفالهم.

٢- غرس القيم السياسية والدينية والجمالية والأخلاقية السليمة في الأطفال وتربيتهم على أساس الإلتزام بالقيم الأخلاقية النبيلة والصدق والتعاون والإيثار، سواء في الأسرة أو المدرسة.

٣- إختيار المعلم المؤهل نفسياً وتربوياً وعلمياً، إختياراً وإنتقاءً جيداً لتولي هذه المسئولية الهامة والخطيرة، بعد تدريبه على أحدث وسائل التربية الحديثة سواء في الداخل أو في الخارج تدريباً جاداً.

٤- إختيار الوعاظ وأئمة المساجد المؤهلين نفسياً وتربوياً وعلمياً، وفصل أولئك الذين يتاجرون بالدين لأغراض شخصية أو سياسية فوراً.

٥- محاربة الأمية، وجعلها القضية القومية الأولى في جميع المجالات سواء كانت أمية تعليمية، أو نفسية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو صحية أو في أى مجال آخر.

٦- توفير القدوة الصالحة وذلك من خلال وضع الرجل المناسب في المكان المناسب سواء في المدرسة أو في النادي أو في الساحة الشعبية أو في العمل أو على مستوى الدولة.

٧- إستغلال طاقات الشباب وتوجيهها للرياضة أو للعمل الاجتماعي التطوعي أو العمل السياسي الحزبي، لتربية الكوادر تربية سياسية سليمة، وتشجيع الميول الأدبية في مختلف مجالاتها.

٨- التغلب على مشكلة البطالة بالأسلوب العلمي السليم، ومن أمثلة ذلك تشجيع الشباب على العمل الحر وإستصلاح الصحراء وتعميرها.

٩- العمل على سد الفجوة الكبيرة في مستوى المعيشة بين طبقات الشعب المختلفة، فهناك الأغنياء الذين يملكون كل شيء، وهناك الفقراء المعدمين الذين لا يملكون أى شيء.

١٠- النهوض بالمناطق الشعبية الفقيرة من ناحية الخدمات وعدم قصرها على المناطق الراقية بصورة استفزازية.

١١- محاربة الفساد في شتى صوره، محاربة جادة ملموسة، يشعر بها المواطن العادي، وتشجيع الشرفاء والضرب بيد من حديد على يد كل فاسد يتاجر بأقوات الشعب، وغير ذلك من أساليب الوصولية والانتهازية...إلخ.

١٢- زيادة الوعي الأمني لدى قطاعات الشعب المختلفة، مع الإنتقاء العلمي الجيد لرجل الأمن ثم إعداده وتدريبه على أحدث النظم العلمية.

١٣- إلتزام وسائل الإعلام المختلفة ولاسيما التليفزيون بتقديم المواد الإعلامية التي تحض على الإلتزام بالقيم السياسية والدينية والجمالية والأخلاقية السليمة، وضرورة عدم تقديم المواد الإعلامية خاصة (السينما والمسرح) لتلك المواد التي تتضمن مشاهد العنف والعدوان والإثارة والاستهتار (كما حدث في مسرحية مدرسة المشاغبين وغيرها) ولامبالاة والقيم والعادات التي تتنافى مع القيم النبيلة.

١٤- القضاء على ذلك التناقض الواضح والاستفزازي بين ما يقال أو يقرأ، وبين ما يلمسه الفرد ويعيشه في الواقع (شركات توظيف الأموال – التشدق بما قال الله وقال الرسول وتناقض ذلك مع سلوك الفرد الحقيقي من سرقة ونصب وخلافه).

١٥- عدم نشر أو التقليل بقدر المستطاع من المساحات الخاصة بنشر الجرائم على اختلاف أنواعها في الجرائد والمجلات، حتى بات الفرد يشعر بأنه يعيش في مجتمع الغابة.

١٦- سرعة البث في القضايا الخاصة بمحاربة الأنواع والأشكال المختلفة للفساد مع قيام القضاء بتطهير نفسه أولاً بأول من قلة منحرفة ممن ينتمون إليه، والعمل على سد الثغرات القانونية التي ينفذ من خلالها بعض المحامين الذين يبيعون ضمائرهم لقاء بعض الأموال أو الخدمات.

١٧- وأخيراً وليس أخراً، وضع هدف قومي جديد يلتف حوله جموع الشعب، ويكون بديلاً عن الهدف الكبير الذي تحقق من قبل وهو تحرير سيناء "وتحقيق النصر على إسرائيل"، كأن يكون هذا الهدف الجديد هو "تحقيق النهضة الشاملة لمصر" أو "مصر..أولاً"، وتوظيف جميع الجهود في الدولة لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

إن هذا بعضاً من كل الأساليب التي ينبغي أتباعها – بصورة جادة – لتنمية وتدعيم الولاء لدى قطاعات الشعب، في ضوء ما أشارت الدراسة له بإشارة تحذيرية لخطورة تدهور وإنخفاض مستوى الولاء وتغيير منظومة ترتيب القيم الاجتماعية.

العدد ٩٨ - السنة التاسعة
فبراير ٢٠١٣

رقم الإيداع : ١٢٤٨٥ لسنة ٢٠٠٤





المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية

٦ شارع النبوى المهندس – حى السفارات – مدينة نصر
تليفون : ٢٢٧٣٨٨٣٣ – فاكس : ٢٢٧١٣٥٠٥
6, El-Nabawi El-Mohandis Street, Al-Sefarat neighborhood, Nasr City.
Tel.: 2273 88 33 - Fax: 227 13 505
www.icfsthinktank.org info@icfsthinktank.org